

2^{me} Année, No. 56.

Lundi-30-7-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

*

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

٤٢٣٩٠

تليفون رقم ٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

*

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

oboeikaanda.com

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسنول
احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠ |
٤٠٥٣٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

*

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

بين السياسة والأدب أيضاً

أشارت « الرسالة » في عددها الماضي الى كلمة أسف وعتاب
مكتبتها إحدى الزميلات الدمشقيات لمناسبة وفاة شيخ العروبة
المغفور له أحمد زكي باشا ، تشكو فيها من طغيان السياسة على
الأدب في مصر ، وتنمي علينا تقصيرنا في حق العطاء الراحلين
من أدبائنا ومفكرينا ، وتلاحظ أن العلامة الراحل لم يشيع الى
مقره الأخير بما يجب لعلمه وأدبه وخدماته للإسلام والعرب ،
من التجارة والاهتمام ؛ هذا بينما تغمر ذكرى بعض الراحلين من
رجال السياسة بمظاهر الاجلال الشامل ، وتفرد لها في الصحف
عشرات الفصول الرنانة ، ويحتفي بها أيما احتفاء
ونعود فنعقب على ما كتبه الرسالة بأن ملاحظة الزميلة
الدمشقية جديرة بكثير من التأمل ، وفيما تنعيه علينا كثير من
الحق . فنحن نشعر منذ أعوام طويلة بطغيان الاعتبارات السياسية
على كثير من مظاهر حياتنا العامة والخاصة ، ونشعر بما تجنيه
هذه الاعتبارات على كرامة التفكير والأدب . وقد ظهر هذا
الأثر في مواطن مازالت تثير في نفوسنا كثيراً من الأسى والألم .
ففي مثل هذا الوقت منذ عامين ، توفي شاعر مصر الكبير المغفور له

فهرس العدد

صفحة	
١٢٤١	بين السياسة والأدب أيضاً : « ا . ع »
١٢٤٣	نجم ونجم : الأستاذ أحمد أمين
١٢٤٤	القبلة الأولى : جمال الدين حسين
١٢٤٥	أحلام في الشارع : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٢٤٨	أدب الرواد المسلمين : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١٢٥١	تقابة للأدباء الشبان : حنفي غالي
١٢٥٢	حقائق : عامر عبد الوهاب عامر
١٢٥٣	الموت والخلود : الأستاذ زكي نجيب محمود
١٢٥٥	الماء والسماء : محمد قدرى لطفي
١٢٥٦	العاطفة في الأدب : لغوستاف لانسون ترجمة الأستاذ محمد روهي فيصل
١٢٦٠	الشيخ حسن الطويل : المغفور له أحمد تيمور باشا
١٢٦٣	رأى في المعلقات : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٢٦٥	السحاب (قصيدة) : الأستاذ فخري أبو السعود
١٢٦٥	حيرة (قصيدة) : حسن عارف
١٢٦٦	رسالة (قصيدة) : فريد عين شوكة
١٢٦٦	زهرة (قصيدة) : محمد مصطفى حمودة
١٢٦٧	حافظ لك ابراهيم : السيد احمد العجان
١٢٧٠	محمد اقبال : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٢٧٢	أصل الأرض وماهية تكوينها : نعيم على راغب
١٢٧٥	ذكرى زينب (قصة) : مهدي الجم الطرابلسي
١٣٧٩	شخصية أبي شادي : حسن كامل الصيرفي

وهذا الروح المغيب يكاد يتغلغل في جميع الهيئات المصرية ،
رسمية ، وغير رسمية . وفي كل يوم ترتكب في ظله وتحت تأثيره
تصرفات يابها العلم والأدب ، وتأبها اللياقة والذوق السليم .
وكثيراً ما تجنى هذه التصرفات على قضية العلم والأدب ، وحقوق
العلماء والأدباء . والأمثلة عديدة معروفة لا يتسع المقام لذكرها ،
والتبعة في ذلك لا تقع على الهيئات الرسمية أو الحزبية وحدها وإنما
تقع أيضاً على الهيئات العلمية والأدبية نفسها ، وعلى العلماء والأدباء
أنفسهم . أما تبعة الهيئات ، والهيئات الرسمية بنوع خاص ، ففي
إنها تمزج بين السياسة والأدب عن عمد وتدبير ، وتخضع الأدب
والعلم لمؤثرات السياسة وهوأها ؛ هذا مع أن التفكير والأدب
تراث قومي عام ، بل هما تراث إنساني يرتفع فوق جميع الاعتبارات
والمؤثرات الحزبية والمذهبية . ومن واجب الحكومات والهيئات
المستنيرة أن تقدر هذا المبدأ وأن تحترمه دائماً . وإنما تبعة الهيئات
العلمية والأدبية والعلماء والأدباء ، ففي أنهم بجمودهم وتقصيرهم
يشجعون على تلك التصرفات المغرضة المعيبة ، وأحياناً يساهمون
في ارتكابها متأثرين بنفس تلك الاعتبارات التي يجب عليهم أن
يحاربوها بكل قواهم

لقد جنت هذه الاعتبارات والمؤثرات على تفكيرنا وأخلاقنا
وأصابت حركتنا الأدبية بكثير من ضروب الفساد والشر ،
وكانت هيئاتنا الرسمية والعامّة دائماً في ذلك قدوة لا تحمد . وما
زلنا منذ أعوام نعاني هذا الافساد ونستكين له . أفلم يحن الوقت
إذن لكي نحارب هذا التيار الخطر ونعمل على اقناع حكومتنا
وهيئاتنا العامة بأن الحركة الأدبية يجب أن تحرر من تلك المؤثرات
والاعتبارات الخاصة ، وأن التراث الفكري والأدبي يجب أن
ينظر إليه لذاته ، وأن من حق المفكرين والأدباء أن ينالوا دائماً ،
أثناء حياتهم وبعد مماتهم ، من رعاية حكومتهم وأمتهم ما هو
جدير باقدارهم العلمية والأدبية قبل كل شيء ؟

« ١٠ ع »

حافظ إبراهيم ، فكان حقاً لعظمته وعبقريته أن يكون جنازه
حادثاً قومياً عظيماً تشترك فيه الأمة كلها شعباً وحكومة ؛ ولكن
حافظاً شيع إلى قبره في حشد متواضع من الأصدقاء والمعجبين ،
وحالت الاعتبارات السياسية دون أن يسبغ على جنازه أية صفة
رسمية أو قومية ، ولم يرقم لذكراه أي حفل تأبين لائق . وكان لهذا
الاغفال المؤلم صدهاء يومئذ ، فألفت لجنة من بعض الكبراء
والأدباء أصدقاء حافظ لتستدرك هذا التقصير المغيب في حقه ،
ولتقوم بما يجب لتخليد ذكراه ؛ ولكن هذه اللجنة لم توفق
للأسف إلى القيام في هذا السبيل بعمل يذكر ؛ ولم تبد دوائر
الأدب من جانبها أي اهتمام بحفاظ وتراثه ، ولا زالت ذكرى
الشاعر العظيم نسياً منسياً

وثمة حدث آخر ظهر فيه طغيان هذا التيار السيئ ، هو أنه
لما أرادت الحكومة أن تكرم ذكرى أمير الشعراء المغفور له أحمد
شوقي بك في حفل رسمي دعت إليه ممثلي الأقطار العربية الشقيقة ،
لم تفكر في زميله وقربنه حافظ ؛ ولو أنها أرادت أن تكرم
ذكرى الشعر للشعر والأدب للأدب ولم تبد مثل هذه التفرقة بين
رجلين اشتركا في حمل زعامة الشعر العربي زهاء ربع قرن ، وسأها
في مجد مصر الأدبي بقسطين متعادلين لكان عملها جديراً بكل
تقدير . ولكن ظروف هذا الحفل كلها كانت تم عن تغلب هذه
الاعتبارات الخاصة في إقامته وفي تنظيمه ؛ وهي ظروف واعتبارات
شعر بها ولا حظها وأسف لها جميع اخواننا مندوبي الأقطار العربية
الذين شهدوا هذا الاحتفال

وبعد فهل نسي أحد قصة مثال مصر العظيم مختار وما جنته
الاعتبارات السياسية على شخصه وفنه أثناء حياته ثم بعد وفاته ؟
لقد قضى مختار معذباً منسياً مهضوم الحقوق ، لا تحفل الحكومة
بأمره ، ولا تذكر أن له فناً وآثاراً رفعت اسم مصر عالياً ؛ وخذت
الهيئات العلمية والأدبية حذو الحكومة في تناسي مختار وفنه
وذكراه .

نجار ونجار

للأستاذ أحمد أمين

وأمر ، اذ يكون قد سلم اليه صاحب حاجة دولابه أو كرسيه
لاصلاحه فلم يجد دولابه ولا كرسيه ، لأن الأسطى حسن
اضطرته الحاجة الملحة فباعه وأضاع ثمنه

وهكذا أصبح شارعنا بحمد الله معرضا في النهار للسباب
والمشاكل والخصومات والبوليس ، ومنتدى جميلا ليلا لأهل
السماح الملاح ، الى الصباح
وأخيراً عدت من عملي يوما فرأيت الزحام شديداً على دكان
الأسطى حسن ، واذا جلبة وضوضاء ، وصياح يملا الأذان ؛ واذا
المنادى ينادى لبيع عدد النجارة وأدواتها :
منشار في حالة جيدة !

عشرة قروش — أحد عشر — اثنا عشر

الأوونا — الادو — الأتريه

وهكذا حتى تم بيع كل ما في الدكان وفاء لكرائها خمسة
شهور تأخرت على الأسطى حسن

وكان شعورى إذ ذاك مزيجاً من غبطة وألم ، وحرز وفرح ،
فقد آلمتني خاتمته ، وأفرحتني ما منيت به نفسى بعد ذلك من نوم
هادئ سعيد

ودعوت ربي جاهداً ألا يرغب في الدكان مستأجر بعد ،
فإن كان ولا بد فكواء أو عطار ، لا نجار ولا بائع فراخ ولا
مبيض نحاس ، وقصرت شكواي على الله بعد أن جربت البوليس
فوجدته لا يأبه لهذه السفاسف ، وليس له من الزمن ما يلفته
لهذه الصفائر

ولكن أبي القدر أن يستجيب دعوتى — وكان الدكان
وقف على سكنى النجارين — فقد سكنها هذه المرة أيضاً نجار ،
ولكنه من صنف آخر — هو نجار رومى ، لم أشعر بسكناه إلا
بعد شهر ، لأنه لم يكن في عمله شئ غير عادى ، فهو يفتح دكانه
وقت العمل ، ويغلقها عند الغروب ، وينجر فتندمج أصوات
دقائه وبجارته في أصوات البائعين وحركات المارين وأصوات
السيارات

دعوته يوماً لاصلاح دولاب ، فاذا شاب يشترك مع الأسطى
حسن في سنه ، ويختلف عنه في كل شئ آخر ، جميل الهندام وان

استأجر دكاناً أمام منزلنا الأسطى حسن النجار
وهو شاب في نحو الثلاثين من عمره ، مهزول الجسم ، أصفر
الوجه ، ينتعل نعلا بالية ، ويلبس ثياباً رثة ، وعلى رأسه طربوش
أسفله أسود ، وأعلاه أحمر ، قد دفعه الى الورا ل يظهر « قصته »
من شعره ، فرعها فروعا ورفعها الى السماء لتناطح السحاب
ينظر اليك بعين منتفخة كأنه قريب العهد — دائماً —
بنوم طويل ثقيل ، ويمشى متطرحاً كأن في رأسه — دائماً —
فضلة خمار ، وعلى وجهه غبرة كأن الماء لم يمسه أبداً ، أقوى
شئ فيه لسانه في السباب ، وصوته في النزاع

ليس لفتح دكانه أو اغلاقه موعد ولا لعمله وراحته
وقت محدد ، يحلوه أحياناً أن يغلقه في الصباح ويفتحه في الظهر
اذا بدأ الناس يقيلون ، وأحياناً يسره أن يتركه مغلقاً طول النهار
ويفتحه ليلا حيث يبدأ الناس في النوم ، فيضىء مصباحه ويخرج
عدده وأدواته في الشارع ، ويأخذ في نجارته ما حلاله ذلك ، فحيناً
الى الفجر ، وحيناً الى الصباح ، تحاول أن تصده عن ذلك
وتنصحه فيظهر الطاعة ثم يستمر في خطته ؛ وأحياناً تنقلب دكانه
في الليل حلبة الكميت ، يتنادمون ويتشاربون ، حتى اذا تمشت
الحر في مفاصلهم ، ودبت في عظامهم ، ذهبت بهم كل مذهب ،
وأخذت منهم كل مأخذ . فتغنوا أحياناً ، فوق الغناء في نفوسهم
أحسن موقع ، وصاحوا جميعاً بصوت واحد : آه ! ممدودة
ما طاوعتهم أنفاسهم — وأحياناً يعدلون عن الغناء الى تبادل
النكات ، ويعقبون كل نكتة بضحكة عالية تسر نفوسهم ، وتخرق
آذان جيرانهم

واذا فتح الدكان نهراً فمعرض غريب ، لاجودة المصنوعات
ولا دقة المعروضات ، ولكن لأصحاب الحاجات قد أتوا يطالبون
بانجاز أعمالهم ، والشكوى من تأخير طلباتهم ، ثم يصل الأمر في
أغلب الأحيان الى تدخل البوليس ، وأحياناً يكون ما هو أدهى

قارنت بين هذا الرجل ورجل مصري آخر كان يجول أمام بيتنا أيضاً ، يحمل سلعة كسلعة اليهودي ، وينادي على (حرير المحلة) ، وتصورته وبؤسه ، وتصورت أسرته وبؤسها ، وكيف يتحد العمالان ، وتباين المعيشتان

ثم نسمع الشكوى الحارة من العمال العاطلين ، والمتعلمين العاطلين ، ونسمع من يرجع العلة الى تفشي الأمية حيناً ، وإلى نوع الدراسة حيناً ، وإلى غير ذلك من أسباب ، وليس في نظري سبب أهم من نقص الأخلاق ؛ ولست أعنى أخلاق الكتب ، ولكن أعنى أخلاق العمل ، من معرفة طرق الكسب ، وإجادة العمل ، وحسن العرض ، وعدم الأنفة من مزاوله الحرفة مهما حقرت ، وضبط الدخل والخرج ، وفوق ذلك كله العلم بفن الحياة .
أحمد أمين

الفقه الأولي .. !

هي البريد الذي حمل عنى رسالة حبك ، والاخلاص لك ، فأداها في أمانة وطهر . .
هي الوحي الذي هبط بالألفة ، وارتفع بالكلفة . .
هي الرسول الذي بلغك ذوب عاطفتي في صدق وفضانة . .
هي طابع الوفاء ختمت به على ثغرك الزاهي الجميل . .
هي اعتراف بالمحبة أبرقت به الى قلبك من أخصر طريق . .
هي تذكار الصفاء سجلته على لطف شفيتك . .
هي برهان الولاء استخلصته من سحر عينيك . .
هي التصريح الصامت لما يكنه القلب من لوعة وهيام . .
هي الضغطة الرفيقة التي تذكي في النفس الحب والغرام . .
هي السلسيل الصافي الذي يندى لهاة المدنف الولهان . .
هي النسمة الوادعة اللينة التي تطيف بالنفوس فتنتعش . .
هي الأرج الذاكى الذي تمتلىء به الصدور فتشرح . .
هي الرحيق المختوم ، والوردة النظرة ، والزهرة المتفتحة . .
هي الجمال كله . يعلن عن نفسه في خفوت وهمس يزيدانه روعة ورهبة . ويملأه إجلالا وهيبة . .

كمال الدين صبيح

مدرس

لم يكن ثمينه ، صفف شعره في أناقة ولمعان بينما اعتنى الأسطى حسن « بقصته » فقط — عمل عمله في هدوء واتقان ، وكأنه يحترم نفسه ويحترم عمله ، ويقدر نوع معيشته وما يلزم لها ، فطلب ضعف ما كان يطلبه زميله فدفعته راضيا

له في جوارنا ستة أشهر أو تزيد لم أسمع صوته ، ولم أسمع شاكياً من تأخر موعد أو تصرف سيء . ولم يقلق راحتي كما أقلقها من كان قبله ، فهو وإن لم يكن كواء أو عطاراً كالذي رجوت فليس شراً منها ، وتبين بعد أن الأمر ليس نوع الصناعة ، وإنما هو نوع الصانع

ونزلت بيتاً في ضاحية من ضواحي الاسكندرية ، فرأيت (قبلا) جميلة على شاطئ البحر ، لا يسكن مثلها — عادة — إلا من ورمت جيوبهم ، وانتفخت محافظهم ، راديو ، وبيانو ، وما شئت من أسباب النعيم ورفاهة العيش ؛ ولكن لفت نظري رجل يلبس قباء ، ويحزم وسطه بحزام ، وعليه جاكتة بسيطة نظيفة ، قد أرخى لحيته ، ودفع طربوشه الى وراء ، يحمل أقمشة على كتفه يكاد ينوء بحملها ، وهو من الصنف اليهودي الذي نراه يجول في الشارع كل يوم يبيع (الدمور) و (الزفير) و (الباتستا) .
حيرني أمر هذه (القبلا) بجمالها ونظافتها ، وأمر هذا الرجل ، يخرج صباحاً يحمل سلعته على كتفه وقد سمت ، ويعود مساء وسلعته على كتفه وقد هزلت ؛ أمستاجر هذا الرجل حجرة صغيرة في البيت ، أم قريب فقير لأصحابه عطفوا عليه وآووه واحتملوا منه أن يعيش بينهم وينزل في مسكنهم ؟ — وفي الحق كان هذا لغزاً شغلني شرحه ، وأعياني حله ؛ ثم هدتني المصادفة البحتة الى اكتشاف الأمر وافتضح السر : هورب البيت ! وهو عميد الأسرة ، وليس فيها إلا زوجه وأولاده ، ولكن كلهم يعمل ، وكلهم يكسب : هذه خياطة ، وإحدى بناتها معلمة بيانو ، وهذا ابنه كهربائي ، وهذا الآخر يعمل في مصلحة التلغراف ، وكل كاسب يعطى ما كسب لأبيه ، ويجمعون من ذلك ما يجمعه موظف وسط أو فوق الوسط ، ثم هم جميعاً يعلمون كيف يعيشون ، وكيف ينعمون بالعيش بأقل مصرف ، ويعلمون ما ينفقون وما يدخرون

أحلام في الشارع

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

الآخر فيجعل له وجوداً فوق الدنيا ، لا تصل الدنيا اليه بفقرها
وغناها ، ولا سعادتها وشقتها ، لأنه وجود الحب لا وجود العمر ؛
وجودٌ سحري ليس فيه معنى للكلمات فلا فرق بين المال والتراب ،
والأمير والصعلوك ؛ إذ اللغة هناك إحساس الدم ، وإذ المعنى ليس
في أشياء المادة ولكن في أشياء الإرادة .

وهل تحيا الألفاظ مع الموت ، فيكون بعده للمال معنى
وللتراب معنى ؟ ... هي كذلك في الحب الذي يفعل شبيهاً بما
يفعله الموت في نقله الحياة الى عالم آخر ، يئد أن أحد العالمين
وراء الدنيا ، والآخر وراء النفس .

تحت يد الأخت الممدودة ينام الطفل المسكين ، ومن شعوره
بهذه اليد خفّ ثقل الدنيا على قلبه .

لم ييال أن نبذه العالم كله ، مادام يجد في أخته عالم قلبه الصغير .
وكأنه فرخ من فراخ الطير في عُشّه المعلق ، وقد جمع لحمه
الغضّ الأحمر تحت جناح أمه ، فأحسّ أنها السعادة حين ضيق
في نفسه الكون العظيم وجعله وجوداً من الريش .

وكذلك يسعد كل من يملك قوة تغيير الحقائق وتبديلها ،
وفي هذا تفعل الطفولة في نشأة عمرها ما لا تفعل بعضه معجزات
الفلسفة العليا في جملة أعمار الفلاسفة .

وما صنع الذين جنّوا بالذهب ، ولا الذين فتنوا بالسلطة ،
ولا الذين هلكوا بالحب ، ولا الذين تحطموا بالشهوات - إلا
أنهم حاولوا عبثاً أن يرشوا رحمة الله لتعطيهم في الذهب
والسلطة والحب والشهوات ما نوّتته هذا الطفل المسكين
النائم في أشعة الكواكب تحت ذراع كوكب روجه الأرضي .
ألا إن أعظم الملوك لن يستطيع بكل ملكه أن يشتري الطريقة
الهنئية التي ينبض بها الساعة قلب هذا الطفل .

وقفت أشهد الطفلين وأنا مستيقن أن حوّلها ملائكة تصعد
وملائكة تنزل ، وقلت هذا موضع من مواضع الرحمة ، فإن الله
مع المنكسرة قلوبهم ، ولعلّ أن أتعرض لنفحة من نفحاتها ،
ولعل ملكاً كريماً يقول : وهذا بائس آخر : فيرفئني بجناحه
رفّة ما أحوج نفسي إليها ، تجذبها في الأرض لمسة من ذلك
النور المتلألئ فوق الشمس والقمر .

على عتبة (البنك) نام الغلام وأخته يفتشان الرخام البارد ،
ويلتحفان جوّاً رخامياً في برده وصلابته على جسميهما .
الطفل مُتكبكب في ثوبه كأنه جسم قطع ورُميت
أعضاؤه بعضها على بعض ، وسجّيت بثوب ورُمي الرأس من
فوقها فمال على خده .

والفتاة كأنها من الهزال رسم مُخطّط لامرأة ، بدأها المصور
ثم أغفلها إذ لم تعجبه . كتب الفقر عليها للأعين ما يكتب الذبول
على الزهرة : أنها صارت قشّاً . . .

نائمة في صورة ميّنة ، أو كميّنة في صورة نائمة ؛ وقد انسكب
ضوء القمر على وجهها وبقي وجه أخيها في الظل ؛ كأن في السماء
ملكاً وجّه المصباح إليها وحدها إذ عرف أن الطفل ليس في
وجهه علامة همّ ، وأن في وجهها هي كل همها وهم أخيها .
من أجل أنها أنثى قد خلقت لتلد ، خلقت لها قلب يحمل
الهموم ويدها ويربها .

من أجل أنها أعدت للأمم ، تتألم دائماً في الحياة آلاماً
فيها معنى انفجار الدم .

من أجل أنها هي التي تزيد الوجود ، يزيد هذا الوجود دائماً
في أحزانها .

وإذا كانت بطبيعتها تقاسي الألم لا يُطاق حين تلد فرحها ،
فكيف بها في الحزن . . . !

وكان رأس الطفل الى صدر أخته وقد نام مطمئناً الى هذا
الوجود النسوي الذي لا بدّ منه لكل طفل مثله مادام الطفل إذا
خرج من بطن أمه خرج الى الدنيا والى صدرها معاً .

ونامت هي ويدها مرسلّة على أخيها كيد الأم على طفلها .
يا إلهي ! نامت ويدها مستيقظة !

أها طفلان ؟ أم كلاهما تمثال للانسانية التي شقيت بالسعداء
فعوّضها الله من رحمته ألا تجد شقياً مثلها إلا تضاعفت سعادتها به ؟
تمثالان يصوران كيف يسرى قلب أحد الحبيين في الجسم

بالضرب ما كان يمسك رمقنا من الاحتمال والصبر .

هؤلاء الأطفال يتضورون شهوة كلما أكلوا ليعودوا فيأكلوا ،
ونحن نتضور جوعاً ولا نأكل ، لنعود فنجوع ولا نأكل ؛
وهم بين سمع أهلهم وبصرهم ؛ ما من أنة إلا وقعت في قلب ،
وما من كلمة إلا وجدت إجابة ؛ ونحن بين سمع الشوارع وبصرها ،
أين ضائع ، ودموع غير مرحومة !
آه لو كبرت فصرت رجلاً طويلاً عريضاً ! أتدري
ماذا أصنع ؟

— ماذا تصنع يا أحمد ؟

— إنني أخنق يدي كل هؤلاء الأطفال !

— سؤأة لك يا أحمد ، كل طفل من هؤلاء له أم مثل أمنا

التي ماتت ، وله أخت مثلي ؛ فما عسى ينزل بي لو شككتك إذا
خنقتك رجل طويل عريض ؟

— لا ، لا أخنقهم ؛ بل سأرضيهم من نفسي ؛ أنا أريد أن

أصير رجلاً مثل (المدير) الذي رأيناه في سيارته اليوم على حال
من السطوة تعلن أنه المدير . . . أتدري ماذا أصنع ؟

— ماذا تصنع يا أحمد ؟

— أرايت عربة الاسعاف التي جاءت عند الظهر فانقلبت

نعشاً للرجل الهرم المحطم الذي أغمى عليه في الطريق . ؟ سمعتم
يقولون : إن المدير هو الذي أمر باتخاذ هذه العربة ، ولكنه
رجل غفيل لم يتعلم من الحياة مثلنا ، ولم تحكّمه تجارب الدنيا
فالذي يموت بالفجأة أو غيرها لا يحييه المدير ولا غير المدير ،
والذي يقع في الطريق يجد من الناس من يتدرونه لنجدته
وإسعافه بقلوب إنسانية رحيمة ، لا بقلب سواق عربة ينتظر
المصيبة على أنها رزق وعيش .

إن عربات الاسعاف هذه يجب أن يكون فيها أكل . .

ويجب أن تحمل أمثالنا من الطرق والشوارع إلى البيوت
والمدارس ؛ وإن لم يكن للطفل أم تطعمه وتؤويه فلتصنع له أم .
كل شيء أراه لا أراه إلا على الغلط ، كأن الدنيا منقلبة
أو مدبرة أديارها ، وما قط رأيت الأمور في بلادنا جارية على
مجاريتها ؛ فهؤلاء الحكام لا ينبغي أن يكونوا إلا من أولاد صالحى
الفقراء ، ليحكموا بقانون الفقر والرحمة ، لا بقانون الغنى والقسوة ،
وليتقحموا الأمور العظيمة المشتبهة بنفوس عظيمة صريحة قد
نبئت على صلابة وبأس ، وخلق ودين ورحمة ؛ فانه لا ينهزم في

وظهر لي بناء (البنك) في ظلمة الليل من مرأى الغلامين -
أسود كالحا ، كأنه سجن أقفل على شيطان يمسكه الى الصبح ،
ثم يُفْتَح له لينطلق معمراً ، أى مخرباً . . . أو هو جسم جبار
كفر بالله وبالإنسانية ولم يؤمن إلا بنفسه وحظوظ نفسه فمسخه
الله بناءً ، وأحاطه من هذا الظلام الأسود بمعانى آثامه وكفره .
يا عجبا ! بطنان جائعان في أطوار بالية يبيتان على الطوى والهلم ،
ثم لا يكون وسادها إلا عتبة البنك ! ترى من الذى لعن
(البنك) بهذه اللعنة الحية ؟ ومن الذى وضع هذين القلبين
الفارغين موضعهما ذلك ليثبت للناس أن ليس البنك خزائن
حديدية يملؤها الذهب ، ولكنه خزائن قلبية يملؤها الحب . . ؟

وقفت أرى الطفلين رؤىة فكرٍ ورؤىة شعر معاً ، فاذا الفكر
والشعر يمتدان بيني وبين أحلامهما ، ودخلت في نفسيين مضهما الهلم
واشدد عليهما الفقر ، وما من شيء في الحياة إلا كادها وعاسرها ؛
ونمت نومتى الشعرية . . .

قال الطفل لأخته : هامسى فلنذهب من هنا فنقف على باب
(السبا) تنفرج مما بنا ، فنرى أولاد الأغنياء الذين لهم أب وأم .
انظري هامس أولاء ترى عليهم أثر الغنى ، وتعرف فيهم روح
النعمة ؛ وقد شبعوا . . . إنهم يلبسون لحماً على عظامهم ، أما نحن
فنلبس على عظامنا جلدًا بجلد الحذاء ؛ إنهم أولاد أهلهم ، أما نحن
فأولاد الأرض ؛ هم أطفال ، ونحن حطب إنسانى يابس ؛ يعيشون
في الحياة ثم يموتون ، أما نحن فعيشنا هو سكرات الموت ، إلى
أن نموت ؛ لهم عيش وموت ، ولنا الموت مكرراً .

وبلى على ذلك الطفل الأبيض السمين ، الحسن البزّة ، الأنيق
الشارة ، ذاك الذى يأكل الحلوى أكل لص قد سرق طعاماً
فأسرع يحدّر في جوفه ما سرق ؛ هو الغنى الذى جعله يبتلع
بهذه الشراهة كأنما يشرب ما يأكل ، أو له حلق غير الحلق ،
ونحن — إذا أكلنا — نعص بالخبز لا أدم معه ، وإذا ارتفعنا
عن هذه الحالة لم نجد إلا البشيع من الطعام وأصبناه عفنًا أو فاسداً
لا يسوغ في الحلق ، فاذا انخفضنا فليس إلا ما نتقم من قشور
الأرض ومن تحت الخبز كالذباب والكلاب ؛ وإن لم نجد
ومسنا العدم وقفنا نتحين طعام قوم في دار أو نزل فتراهم
ياكلون فناكل معهم بأعيننا ، ولا نطمع أن نستطعمهم وإلا
أطعمونا ضرباً فنكون قد جئناهم بألم واحد فردونا بالمين ، ونفقد

والنعمة ، ثم الإصلاح ما أخل به الفقر من صفات الانسانية بالفقراء ، وأحملهم على ذلك حملاً ، فيستوى هؤلاء وهؤلاء ، ويتقاربون على أصل في الدم إن لم يلد آباؤهم ولده القانون . ألا إن سقوط أمتنا هذه لم يأت إلا من تعادى الصفات الانسانية في أفرادها ، فتقطع ما بينهم ، فهم أعداء في وطنهم ، وإن كان اسمهم أهل وطنهم ومتى أحكمت الصفات الانسانية في الأمة كلها ودانى بعضها بعضاً — صار قانون كل فرد كلمتين ، لا كلمة واحدة كما هو الآن . القانون الآن (حَقِّي) ونحن نريد أن يكون (حَقِّي وواجبي) وما أهلك الفقراء بالأغنياء ، ولا الأغنياء بالفقراء ولا المحكومين بالحكام إلا قانون الكلمة الواحدة .

أنا أحمد المدير . . . لست المدير بما في نفس أحمد ، ولا بمعدته وبطنه ، ولا بما يريد أحمد لنفسه وأولاده . . . كلا ، أنا عمل اجتماعي منظم يحكم أعمال الناس بالعدل ، أنا خلقٌ ثابت يوجه أخلاقهم بالقوة ، أنا الحياة الأم مع الحياة الأطفال الآخوة في هذا البيت الذي يسمى الوطن ، أنا الرحمة ، عندي الجنة ولكن عندي جهنم أيضاً مادام في الناس من يعصى ، أنا بكل ذلك لست أحمد ، لكني الإصلاح .

هأنذا قد صرت مديراً أعس في الطريق بالليل وأتفقد الناس ونوابئهم .

من أرى ؟ هذا طفل وأخته نأمان على عتبة البنك في حياة كأهدامهما المرقعة ، في دنيا تمزقت عليهما ، قم يا بني ، لا ترع وإنما أنا كأبيك ، تقول : اسمك أحمد ، واسم اختك أمينة ؟

تقول : انك مانمت من الجوع ، ولكن مضمضت عينك بشعاع النوم ؟

يا ولدي المسكينين بأى ذنب من ذنوبكما دقتكما الأيام دقاً وطحنتكما طحناً ، وبأى فضيلة من الفضائل يكون ابن فلان باشا وبنت فلان باشا في هذا العيش اللين يختاران منه ويتأقنان فيه ، ما الذي ضرَّ الوطن منكما فتموتا ، وما الذي نفع الوطن منكما فبعيشا ؟ إن كنت يا بني لا تملك لنفسك الانتصار من هذه الظليمة فأنا أملكها لك ، وإنما أنا المظلوم إلى أن تنتصر ، وإنما أنا الضعيف إلى أن آخذ لك الحق .

إلى ابن فلان باشا وبنت فلان باشا .

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

معركة الحوادث إلا روح النعمة في أهل النعمة ، وأخلاق اللين في أهل اللين ؛ وبهؤلاء لم يبرح الشرق من هزيمة سياسية في كل حادثة سياسية .

إن للحكم لهما ودماً هو لحم الحاكم ودمه ؛ فإن كان صلباً خشناً فيه روح الأرض وروح السماء فذاك ، وإلا قتل اللين والترف الحكم والحاكم جميعاً . وبهؤلاء الحكام من أولاد الأغنياء لا يكون لهم هم إلا أن يرفعوا من شأن أنفسهم ، إذ السلطة درجة فوق الغني ، ومن نال هذه استشرف لتلك ، فإذا جمعوها كان منها الخلق الظالم الذي يصور لهم الاعتداء قوة وسطوة وعلو ، من حيث عدموا الخلق الرحيم الذي يصور لهم هذه القوة ضعفاً وجبناً ونذالة . إن أحدهم إذا حكم وتسلط أراد أن يضرب ، ثم لم تكن ضربته الأولى إلا في المبدأ الاجتماعي للأمة ، أو في الأصل الأدبي للانسانية . ومحرضون على مابه تمامهم ، أى على السلطة ، أى على الحكم ؛ فيحملهم ذلك على أن يتكفوا للحرص أخلاقه ، وأن يجمعوا في أنفسهم أسبابه ؛ من المداراة والمصانعة والمهاونة ، نازلاً فنازلاً إلى درك بعيد ، فينشرون أسوأ الأخلاق بقوة القانون ماداموا هم القوة .

— وماذا تريد أن يصنع أولاد الأغنياء يا أحمد ؟

— أما أولاد الأغنياء فيجب أن يباشروا الصناعة والتجارة ليجدوا عملاً شريفاً يصيبون منه رزقهم بأيديهم لا بأيدي آباءهم ، فانه والله لولا العمى الاجتماعي لما كان فرق بين ابن أمير متبطل في أملاك المجلس البلدي من الأزقة والشوارع . . .

وابن الأمير إذا كان نجاراً أو حداداً أصلح السوق والشارع بأخلاقه الطيبة اللينة ، وتعففه وكرمه ، فيتعلم سواد الناس منه الأمانة والصدق ، إذ هو لا يكذب ولا يسرق مادام فوق الاضطرار ، ولا كذلك ابن الفقير الذي يضطره العيش أن يكون تاجراً أو صانعاً فتكون حرفة التجارة ، وهي السرقة ، أو الصناعة وهي الغش ، ويكون في الناس أكثر عمره مادة كذب وإثم ولصوصية .

آه لو صرت مديراً ! أتدري ماذا أصنع ؟

— ماذا تصنع يا أحمد ؟

— أعمد الى الأغنياء فأردهم بالقوة إلى الانسانية ، وأحملهم عليها حملاً ، وأصلح فيهم صفاتها التي أفسدها الترف واللين

أدب الرواد المسلمين

فن في الأدب العربي يحتفظ بقيمة وجمته

للأستاذ محمد عبد الله عنان

التجول ما يكتشفه من أحوال الشعوب المتمدنة أو التي تأخذ بقسط من الحضارة ، إلا ما يمليه عليه الدرر الخالص لأحوال هذه الشعوب ، وأصبحت كتب الاستكشاف وفقاً على رواد المجهل والعلماء الذين يجوبون معهم مجاهل البحار أو اليابسة ليكشفوا جديداً من الآثار أو الأنواع . وكتب الفريق الأول يغلب عليها الطابع الأدبي ، وأما كتب الرواد الفنيين فيغلب عليها الطابع العلمي .

وقد عرف الأدب العربي فن السياحة والمشاهدة في عصر مبكر جداً . فمنذ القرن الثالث نرى الجغرافيين العرب يطوفون أرجاء العالم المعروف يومئذ للوقوف على أحوال البلدان والأقاليم المختلفة وخواصها ويدونون مشاهداتهم في كتب لا زالت حجة عصرها . ومن أعظم هؤلاء الجغرافيين الرحل ، اليعقوبي الذي طاف العالم الإسلامي من السند إلى الأندلس وتجول في جميع بلاد فارس والجزيرة ومصر والمغرب والأندلس في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، ووضع كتابه الجامع « البلدان » ، والمسعودي المؤرخ والجغرافي الذي طاف أنحاء العالم الإسلامي شرقاً حتى الهند والصين وجزائر الهند الشرقية ، واخترق المحيط الهندي حتى شواطئ أفريقيا الشرقية وجزيرة مدغشقر ، وشهد عجائب هذه الآفاق ، ودونها في كتبه ولا سيما مروج الذهب والتنبيه والإشراف ، وذلك في أوائل القرن الرابع الهجري . بيد أننا لا نريد أن نتحدث هنا عن هؤلاء العلماء الجغرافيين ، وإنما نتحدث بالأخص عن طائفة من الرحل والمكتشفين المسلمين الذين تصور آثارهم أحوال البلاد والمجتمعات التي شهدوها ، وتعتبر من الوجهة الفنية آثاراً وصفية اجتماعية قبل أن تعتبر آثاراً جغرافية . ولدينا في الواقع ثبت حافل من أولئك الرواد المشغوفين بالسياحة ودراسة أحوال الأمم ، ولدينا كثير من آثارهم التي ما زالت تعتبر رغم قدمها نماذج حسنة لهذا النوع من الأدب المفيد الشائق معاً . وما نذكره منهم ومن آثارهم في هذا الفصل ، نذكره على سبيل التمثيل ، لا على سبيل الحصر ؛ وإنما نلاحظ أن الذين عرفوا منهم وعرفت آثارهم هم أقلية صغيرة بالنسبة إلى أولئك الذين لم تصل إلينا آثارهم أو التي انتهت آثارهم إلينا ، ولكنها ما زالت مخطوطات منسية في ظلمات المكاتب العامة والخاصة .

فن من فنون الأدب العربي لم تذهب الأيام بجذته ؛ ولا يزال تراه رغم كثر الزمن يحتفظ بقيمته الفنية فضلاً عن قيمته التاريخية ؛ ذلك هو فن السياحة والمشاهدة . ففي الأدب العربي ، القديم والحديث ، تتبوأ كتب السياحة والمشاهدة مكانة رفيعة ، سواء أكانت مكتشف يرود مجاهل القارات ثم يسجل اكتشافاته ، أو لكتاب يجوب البلاد بقصد الدرر والمشاهدة ويدون ملاحظاته ومشاعره . وقد كانت كتب السياحة قبل قرنين أو ثلاثة تعتبر دائماً بالنسبة للمجتمعات التي كتبت لها كتب استكشاف تلي أضواء جديدة على أحوال المجتمعات التي كتبت عنها ؛ فلما تقدمت المواصلات وتقاربت الشعوب ، وكثر تعارفها ، وتوثقت بينها الصلات العلمية والأدبية ، لم يبق للسائح

يا هذا عليك أخاك أحمد ولتكن به حفيماً ، ويا هذه ، عليك أختك الآنسة أمينة
أتأبين ، أنفرة من الانسانية ، وتمرداً على الفضيلة ، أحقاً بلا واجب ، دائماً قانون الكلمة الواحدة ؛ خلقتما أبيضين سخرية من القدر وأتما في النفس من أجوشة الزنج ومنا كيد العبيد .
ورفع أحمد يده

وكان الشرطي الذي يقوم على هذا الشارع ، واليه حراسة البنك قد توسنها (١) ودخلته الريبة ، فأنتهى إليهما في تلك اللحظة وقبل أن تنزل يد سعادة المدير بالصفعة على وجه ابن الباشا وبنت الباشا كان هذا الشرطي قد ركله برجله فوثب قائماً واجتذب أخته وانطلقا عدواً الخيل من ألحوب السوط .

.
وتمجدت الفضيلة كعادتها . . . ! . . أن مسكيناً حلم بها . . .
مصطفى صادق الرافعي

(١) توسنها أتاها نائمين

ومن أقدم أولئك الرواد الوصفيين الذين انتهت آثارهم إلينا

القرن السادس استقر أبو الحسن في حلب بعد طول التجوال ، ونال حظوة لدى أميرها وتوفي سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) ودفن بترية أعدها لنفسه ، وكتب عليها حسب وصيته ومن انشأه تلك الكلمات المؤثرة : « هذه تربة العبد الغريب الوحيد علي بن أبي بكر الهروي ، عاش غربياً ، ومات وحيداً ، لا صديقاً يرثيه ، ولا خليلاً يكيه ، ولا أهل يزورونه ، ولا اخوان يقصدونه ، ولا ولد يطلبه ، ولا زوجة تندبه ؛ آنس الله وحدته ، ورحم غربته »

وأما الثاني فهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي . رحل من الأندلس شرقاً الى افريقية ومصر والشام والحجاز . وكان رحالة بطبيعته قوى الملاحظة والوصف . رحل من غرناطة الى المشرق ثلاث مرات ، الأولى سنة ٥٧٨ هـ والثانية سنة ٥٨٥ هـ ، والثالثة في أواخر القرن السادس ، وقطع البحر الأبيض مراراً ، وطاف بمعظم جزائره وثورته الجنوبية والشرقية ، وتجول في بلاد مصر والشام والحجاز ، وقاسى في أثناء تجواله كثيراً من الشدائد ، وأشرف مراراً على الهلاك في البحر ، واستقر أخيراً بالاسكندرية وتوفي بها سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ودون أخبار رحلاته في سفر كبير ممتع يسميه « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » . وفيه يدون مشاهداته في الأمم والبلاد التي زارها ؛ ويقص حوادث أسفاره مفصلة بالتواريخ في نوع من « المذكرات » ؛ وهو أثر شائق الأسلوب والوصف يعتبر نموذجاً بديعاً لأدب الرواد .

ونستطيع أن نذكر من الرواد المسلمين في هذا العصر أيضاً ، عبد اللطيف البغدادي الطبيب العلامة الذي وفد على مصر في أواخر القرن السادس الهجري ، وطاف بعد ذلك فلسطين والشام وبلاد الروم الأناضول يدرس أحوالها ومجتمعاتها . وقد دون عبد اللطيف مشاهداته في مصر في كتاب كبير لم يصل إلينا ، ولكن وصلت إلينا منه عدة فصول اختارها عبد اللطيف سماها كتاب « الافادة والاعتبار » وهي فصول قوية بديعة عن أحوال مصر وخواصها الطبيعية والاجتماعية ، يغلب عليها الأسلوب العلمي الذي يمتاز به مؤلفها

أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الذي أنفق نحو ثلاثين عاماً في الطواف بالأمم الاسلامية من بغداد إلى الأندلس ، يدرس أحوالها وخواصها وأحوال شعوبها ومجتمعاتها ، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) . وقد دون ابن حوقل رحلته ومشاهداته في كتاب أسماه « المسالك والممالك » ، وهو أثر يجمع بين الناحية الجغرافية والناحية الوصفية . بيد أنه يعنى بالمشاهدات الوصفية عناية خاصة ، وفيه يدون ابن حوقل خلال أخبار رحلته أحوال الأمم التي مر بها وما شاهدته فيها من المناظر والمعاهد والآثار والخواص التي تستحق الذكر . وقد مرّ ابن حوقل أثناء رحلته بمصر ، في أواخر الدولة الاخشيدية ، وخصص لمشاهداته فيها فصلاً طويلاً يصف فيه مصر الفسطاط ومعاهدها والنيل ومجراه ، وكثيراً من أحوال المجتمع المصري يومئذ^(١) . وأسلوبه يجمع بين الطابعين العلمي والأدبي . ولدنا في القرن السادس رحالتان شهيران أحدهما يجوب العالم المعروف يومئذ من المشرق الى المغرب ، والآخر يجوبه من المغرب إلى المشرق ، والأول هو أبو الحسن علي بن أبي بكر المعروف بالسائح الهروي ، نسبة الى هراة بلد أسرته . وقد ولع أبو الحسن بالأسفار منذ حداثة ، وخرج من الموصل مسقط رأسه يجوب أنحاء العالم لغير قصد سوى التفرج والاستكشاف ، وذلك نحو سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٣ م) ، وأنفق زهاء ربع قرن في رحلته ، فطاف أرجاء الشام وفلسطين ومصر ، وقبرص وغرب الأناضول وزار قسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، واخترق البحر الأبيض وتجول في جزائره حتى صقلية ؛ ولم يترك ، على قول ابن خلكان « برأ ولا بحرأ ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه ، ولم يصل الى موضع إلا كتب خطه في حائطه » . واشتهر ذلك في الآفاق كلها ، وهو الوحيد الذي تلقبه الرواية الاسلامية « بالسائح » وأسرته الفرج والقرصان مراراً ، وضاعت كتبه ومذكراته ، كما يخبرنا بذلك في كتابه الذي انتهى إلينا ، وهو سفر صغير عنوانه « الأشارات إلى معرفة الزيارات »^(٢) وفيه يقص باختصار سير رحلته ، وما شاهدته من الأماكن والمعاهد ، دون وصف ولا إسهاب . وفي أواخر

(١) راجع هذا الفصل في كتاب « المسالك والممالك » (وهو ضمن المكتبة الجغرافية التي أصدرها المستشرق دي جويه)
(٢) ومنه نسخة خطية في دار الكتب رقم (٣ م جغرافيا)

على أن أعظم الرواد المسلمين على الإطلاق هو أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الطنجي الشهير بابن بطوطة . ولم يكن ابن بطوطة

رحلة عظيمة فقط يجوب أنحاء العالم المعروف يومئذ ، بل كان أيضاً مكتشفاً عظيماً يقصد إلى مجاهل البر والبحر . وكتابه «تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» وهو المعروف برحلة ابن بطوطة أجمل وأنفس أثر عربي في هذا النوع من الأدب . وقد خرج ابن بطوطة من طنجة مسقط رأسه في سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) يجوب أقطار العالم ، واخترق بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب وبلاد الروم وقسطنطينية ، وفارس وخراسان وتركستان والهند وسيلان والصين وجزائر الهند الشرقية ؛ واخترق في عودته قلب أفريقية من السودان إلى بلاد النيجر ؛ ووقف على كثير من مجاهل بعض الأقطار والأمم التي لم تكن معروفة يومئذ تمام المعرفة ؛ ووصل إلى أعلى نهر النيجر وإلى تمبكتو وسكوتو قبل أن يصل إليها الرواد الأوربيون ويكتشفها الرحالة الإنجليزي منجوبارك بعد ذلك بنحو ثلاثة قرون . وسلخ في رحلاته نحو ربع قرن ؛ وترك لنا عن أسفاره واكتشافاته ومشاهداته ذلك الأثر الذي يعتبر بحق من أبداع آثار السياحة والاكتشاف .

وقد لبث أدب الرواد متصلًا في العربية حتى العصر الحديث ؛ فنجد المقرئ مؤرخ الأندلس — مثلاً — يصف لنا في فاتحة «نفع الطيب» رحلته البحرية من المغرب إلى المشرق في أسلوب رائع ؛ ونجد العلامة الصوفي عبد الغني النابلسي يجوب بلاد الشام ومصر والحجاز ، وذلك سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٤ م) ، ويترك لنا عن أسفاره ومشاهداته أثراً نفيساً هو كتاب «الحقيقة والمجاز» الذي تحتفظ دار الكتب بنسخة خطية منه

ومما تقدم نرى أن أدب السياحة قد بدأ في العربية في عصر مبكر ، واستمر على كثر العصور . وكثيراً ما قيل إن تراث الأدب العربي أضحى قديماً لا يساير العصر ، وأن فنونه قد عفت ، وأنه ليس في تعداد فنونه ومناحيه كالأدب الغربي . ولكننا نستطيع أن نقول هنا على الأقل ، إن الأدب العربي قد سبق الأدب الغربي في فن السياحة والمشاهدة بعصور طويلة ؛ وهذا مترتب بالطبع على أن الرواد المسلمين كانوا أسبق من الرواد الغربيين إلى التجوال في أنحاء العالم المعروف يومئذ ، وإلى ارتياد كثير من الأنحاء المجهولة . والواقع أن أول رحلة عربي كبير ارتاد أنحاء المشرق وآسيا هو

الرحلة الإيطالية ماركو بولو ؛ وكانت رحلته إلى المشرق في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ؛ هذا بينما يرجع نشاط الرواد المسلمين إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة (القرنين الثامن والتاسع من الميلاد) . وأقدم أثر عربي قيم في السياحة هو أثر ماركو بولو الذي يصف فيه أحوال الأقطار الآسيوية ولا سيما الشرق الأقصى . وقد كان أول أثر استطاع الغرب أن يقف فيه على عظمة الشرق يومئذ وبذخه وبهائه وروعة حضارته . ولكن الأمم الإسلامية كانت تعرف أقصى الأمم الشرقية ومعظم الأمم الغربية على يد جغرافيتها وروادها قبل ذلك بقرون . على أنه مما يؤسف له أن أدب السياحة في العربية قد انحط في العصر الأخير ، كما انحط كثير من فنونها ، وأضحى نوعاً من المشاهدات الطائفة تكرر في كل فرصة وفي كل أثر جديد ، وتكتب بالأسلوب الصحفي الركيك ، وتقف عند الأخبار والمشاهدات السطحية ، كوصف السفينة والبحر والشوارع والفنادق والملاهي ، بأساليب وعبارات مملة ؛ وقلما يعنى السائح المتفرج بالمشاهدات والدراسات العلمية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، ومن الأسف أننا لانستطيع أن نجد بين كتب السياحة التي أخرجت في العصر الأخير كثيراً من الآثار التي تمتاز بقيمتها الأدبية والفنية^(١) .

محمد عبد الله عنانه
المحامي

(١) يسرني أن أنوه بهذه المناسبة بالكتب القيمة التي يخرجها صديقنا الرحالة محمد ثابت عن رحلاته ، وقد أخرج منها إلى اليوم ثلاثة تمتاز بدقة دراساتها ومشاهداتها الجغرافية والاجتماعية .

الرسالة في شهر الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة إلى قرائها مدة العطلة تقبل الإدارة الاشتراك الشهري بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

نقابة للأدباء الشبان

بقلم حنفي غالى

قرأت المقال الشيق الممتع الذى نشرته مجلة الرسالة الغراء لذلك الأديب الكبير مقترحاً فيه تأليف نقابة للأدباء الشبان ، تجمع شملهم ، وتوحد كلمتهم ، ويكون لهم منها قوة ترد عنهم هجمات المعتدين ، ودرع يقيه طعنات الطاعنين ؛ فراقني منه ميل خالص للعدل ، ورغبة صادقة فى الانصاف ، فأجبت أن أقول فى هذا الموضوع كلمة صريحة لوجه الحق ، غير متأثر من جانبي الشبان أو الشيوخ برغبة أو رهبة .

وكم كنت أود أن يتجه اقتراح الأديب أتجاهاً غير اتجاهه ، ويرى الى غاية غير غايته ، فيدعو الى تكوين جماعات من الشباب تلتف كل منها حول شيخ أو أكثر من شيوخ الأدب ، تفيده وتستفيد منه ؛ تفيده باعلاء ذكره وإظهار فضله وإعانتته فى عمله ، وتستفيد منه بالاستماع لنصائحه والتشرب بروحه والتأدب بأدبه ؛ ويكون هذا خيراً من تأليف نقابة تغرى بالمصارعة وتغرى بالناجزة ، وأليق برجال يجتمعون قاطبة حول عرش الفن ، ويتعبدون له ويتقدمون بقرايبتهم اليه ، لا فارق فيهم بين شاب وشيخ ، وخامل ونابه ، ومغمور ومشهور . نعم كنت أصبو الى تلك الأمنية وأتحرق شوقاً اليها ؛ ولكننى الآن قد انصرفت عنها وزهدت فيها ، فقد هممت بالعمل على تحقيقها وإنفاذها فى العام الماضى إجابة لرغبة شيخ من شيوخ الأدب محبب إلى ، عزيز على ، فوجدت السبيل الى ذلك شائكاً وعمراً بسبب المعركة التى احتدمت حينئذ بين الأدباء الشبان والشيوخ والتى لا زال جرحاها وقتلاها يسقطون حتى اليوم ، فرغبت فى الوقوف على أسبابها ، وتعرف من أوقد شعلتها الأولى ، أهم الشيوخ أم الشبان ؟ واستطعت باتصالي بهؤلاء وأولئك أن أستشف روح كل منهما ، وأستكنه خبيثة نفسه ؛ فعلمت علم اليقين أن التبعة فى ذلك إنما يقع أكثرها على الشيوخ ، لأننى وجدت فى أدباء الشباب كرمًا وصفحًا ، وإن كان فيهم غرور . أما الشيوخ فلست أغالى إذا وصفتهم بعنت

الحزازة و صلف الأستاذة - كما يقول الأستاذ صاحب الرسالة - بل بالخروج عن طور الحكمة والرزانة المعروفة عنهم ، أو المفروضة فيهم على الأقل ؛ ولله ما أعجب تقلبات الأيام ! فقد كان هؤلاء الشيوخ بعينهم ينعون على رجال المدرسة القديمة استبدادهم وتخطيهم الرقاب بشهرتهم ، واستغناءهم عن الاخلاص والصدق ، ويفاخرون بأن مذهبهم الجديد إنما يقوم على أساس من الحجج الناصعة ، والبراهين الدامغة ؛ ولا يبنى سوى الحرية والحق ، ومازالوا يعملون المعاول فى المذهب القديم حتى أحالوه صعيداً جزأً ، ولكن ما كادوا ينتصرون ويفرح الشباب بهذا الانتصار ، وتفيض نفوسهم غبطة به وابتهاجاً له ، حتى تبذلت نفوسهم ، وتجهمت قلوبهم ، وأصبحوا للشباب ألد الأعداء ، بعد أن كانوا أخلص الأصدقاء ، وأخذوا يضعون اللجم فى الأفواه والأصفاة حول الأعضاء ، والعقبات فى سبيل النفوس الناشئة السائرة على الدرب ، وبذلك مثل شيوخ الأدب فى مصر وفى القرن العشرين المأساة المبكية المضحكة التى مثلها من قبلهم رجال الثورة الفرنسية حين ثاروا على استبداد البوربون ، فقوضوا صرحه ، ثم أقاموا مكانه استبداد نابليون ، أليس كذلك ؟ !

رحم الله المدرسة القديمة وطيب ثرى رجالها الأبرار ! لقد قال الأستاذ الدكتور طه حسين عن أحدهم وهو المغفور له حنفي بك ناصف « كنا نستعينه على أن نكون خيراً منه ، وكان يعيننا على ذلك راضياً به مبتسماً له راعياً فيه » . فأين هذه العلاقة الأبوية العطوفة من علاقة الأذلال والاستعباد التى يريد شيوخ الأدب أن تكون بينهم وبين الشباب ؟ هم يخبرون أدباء الشباب بين أمرين أحلاهما مر ، أما أن يندمجوا فى أشخاصهم ويفنوا فيهم ويسبحوا لهم بكرة وأصيلا وغدوا ورواحا ، وإلا فالويل والثبور لهم أن حدثهم أنفسهم ببدء رأى حر فى كتاب شيخ أو قصيدة ، أو يتربصون بهم حتى أذا وقعوا فى أيديهم فرائس انحنوهم طعناً فما يبقون فيهم ذمء من حياة ؛ فالوقوف الأول مفسد للنفوس مميت للضمائر ، والموقف الثانى مشبط للهمم مضعف للعزائم ، وكلاهما لا يرضى الكرامة ولا العدل ، وما كان للشباب وهم الذين طالما غسلوا بدمائهم الزكية طريق الحرية أن يقبلوا الابتعاد فى الأدب بعد أن أبوه فى السياسة

ولست أرى مبرراً لهذا الموقف الشاذ الغريب من الشيوخ

فالمألوف أن الأدباء يختلفون في الرأي ويختصمون في الفن فماذا يخيفهم من نقد الشباب لآثارهم؟ إلا أن الأمر لا يخلو من أحد اثنين: أما أن انتاج الشيخ الفني قوى لا مغمز فيه فلا يعقل أن النقدي يغض من قدره وينقص من قيمته، أو انه ضعيف فيكون من حق الفن ألا يدخل في حرمة المقدس. أما دعوى الشيوخ بأنهم وحدهم حراس الفن وامناء هيكله فهي دعوى مرفوضة شكلاً وموضوعاً، هي مرفوضة شكلاً لسخافتها الظاهرة وبعدها عن الجذ بعد ما بين الأرض والسماء، وهي مرفوضة موضوعاً لأن وسائل النقد هي الذوق والاطلاع وهما متوفران لكثير من أدباء الشباب والحق أن من شيوخ الأدب من هو مقدور فوق قدره، ولعل هذا سر فزعه من النقد وجزعه من كل يد تمتد إلى آثاره ولو كانت عاجزة ضعيفة

على أنني لست أخلي أدباء الشباب من كل تبعة، ففيهم غرور يحمل بعضهم على النزول إلى ميادين لم يعدوا لها العدة ولم يتخذوا الأهبة، ولكن أي ضرر على الشيوخ لو قابلوا نزوات الشباب بابتسام الأب البار الحنون الذي يغفر ويتجاوز عن كثير؟

ولقد نشأ عن هذا الموقف الشاذ بين الشيوخ والشبان أن غشى الحياة الأدبية في مصر غشاء من الحقد والرياء في النقد فلا يكاد يظهر مؤلف أدبي حتى يرفعه الأنصار إلى السماء، ويهبط به الخصوم إلى الغبراء بغير حق، فانظر ماذا فعل شيوخ الأدب بديوانى الشاعرين المهندس وناجى؟ أو ليس فيهما ما يستحق الإعجاب والتقدير؟ بلى، وإني لأترك الكلام هنا للأستاذ المنصف صاحب الرسالة إذ قال: إن ما فيهما من مساوىء هو من ضئال العيوب التي تختفى في بهر الجمال وروعة الصنعة، فالحكم في حياتنا الأدبية الآن للهوى والغرض لا للعقل والعدل، فما علاج هذه الحالة. إنني وإن كنت أرى في تأليف نقابة لأدباء الشباب ما يغرى بالصراع والنضال، ولكنني أؤيد الاقتراح كل التأييد على أن يكون الشباب عند حسن الظن بهم تسامحاً ونبلاً، فلا يكونوا البادئين بصبغ العيون بلون الدماء — كما يقول الأديب الكبير — فاذا بنى من الشيوخ باغ أو عدا عاد فليقف منه الشباب موقف المدافع في سبيل أعلاء كلمة الحق، واقرار العدل في نصابه، ورد الأمور إلى مجراها الطبيعي.

فالنقابة بما تبته من روح التعاون بين الشباب، وبما تخلقه

من قوة الاتحاد في الغاية والغرض، ستزيل كل العقبات المصطنعة من طريقهم، وتبدد هذه السحب التي تراكت في سماء حياتنا الأدبية، وجبذا لو امتد نشاطها فشمع جميع الأقطار العربية، وضمت بين أعضائها أدباءها الشبان، فيكونون رسل محبة وسفراء خير

ولكن النقابة لن تكون جديرة بالتقدير والاحترام، إلا إذا كان وجه الفن قبلتها وغايتها، والاخلاص له قائدها وراندها، فلا يتقارض أعضاؤها المديح والثناء الزائف، بل يتبادلون النصح والارشاد الصادق، فاذا ما سارت سفينة الشباب في هذا السبيل القويم والصراط المستقيم، فلا شك أنها بالغة غايتها منبهة إلى بر السلامة محوطة برعاية الله مكلوءة بعنايته قد أمن الله مجراها وأبدلها بحسن عاقبة من سوء منقلب

هنفي غالى

حقائق

- ١ — الاثنيون القدامى والفرنسيون الحديثون يبدون غيرهم من الأمم في شغفهم بجمال الحياة ومباهجها. كما يبدونهم كذلك في رقة الأخلاق وظرف الشائل.
- ٢ — يقول المثل « لا ألفة بين اللصوص » ومعنى ذلك أن الشر يهدم الصداقة
- ٣ — أن دراسة الشعر والفصاحة والموسيقى والتصوير وغير ذلك من الفنون الجميلة تبث في الناس روح الدماثة والرفقة والايثاس.
- ٤ — إن لتداعى الأفكار تأثيراً عظيماً جداً على العقل والأخلاق، فترى أن أشغال الذوق توجه العقل إلى مواطن الجمال والسمو. وترد عنه أسباب الضعة والفساد، وذلك لأنها تبث على حب الأولى. والنفور من الثانية بقوة التداعى والترابط.
- ٥ — كما أن الموسيقى تطرب السمع. والألوان البهيجة تفتن العين. كذلك بدائع الذوق تهذب العقل. ولذلك نرى أن الموسيقى يؤله اختلال الألمان. والفنان يزججه اضطراب الألوان، والذوق الرقيق تؤذيه شراسة الأخلاق وغلظة الطباع

ترجمة عامر عبد الوهاب عامر

الموت والخلود *

للأستاذ زكي نجيب محمود

للتعبير عما يقع تحت الحس من أشياء ، فلما درج الانسان صاعداً في سلم الرقي ، وبدأت تدور في رأسه خالجات من الفكر المجرد ثم أراد أن يبرزها في ثوب من اللفظ ، لم تسعفه إلا هذه اللغة ، التي انما خلقت للمحسوسات ، والتزم أن يجرى في قوالها المحدودة تلك الآراء المطلقة التي لا تعرف الحدود ، فلم يكن بد من هذا التناقض والاضطراب ، فأنا ان فكرت في مصيرك بعد الموت ، فلست أعني بجسدك وما يطرأ عليه ، بل يسبح الفكر في حقيقتك التي تكمن وراء هذا الستار من اللحم والعظم في جوهرك مجرداً عن قوالب المادة ، وما أضيق اللغة عن هذا النطاق الفسيح !

تراسيا كوس - ويحك ! أو تريد أن تجعل مني رجلين ، فرجل من مادة في إهاب من الجلد ، ورجل مجرد خبيء وراء الأستار تراه أنت من دون صاحبه ؟

فيلاليس - وأي غرابة فيما أزعم يا صديقي ؟ أفتظن أن هذه الأجسام والأجساد التي تنبث في أنحاء الكون ، والتي تدركها بوساطة الجواس ، هي كل شيء ؟ اللهم إن صح هذا لكان الانسان كتلة من اللحم والشحم والعظام ، وقل على أفكاره ومشاعره

وشتى مظاهر حيويته العفاء ، لأنها لا تسلك اليك سبيلاً من عين أو أنف أو أذن ! لا ، لكل شيء حقيقة كامنة وراء ظاهره ، ما في ذلك شك ولا ريب ، فان أدركك الموت يا أخي أفنى منك هذا الفرد الذي يحاورني الآن ، هذا الشخص المعين الذي أراه وأسمعه ، ماذا أقول ؟ هذا التراسيا كوس ، فلن يكون بعد الموت شيئاً مذكوراً ، ستحل مادته وستسلك ذراتها سبلاً شتى ، فطائفة الى شجرة تدخل في تركيبها ، وطائفة الى حيوان ، وثالثة الى صخرة تلتقي في طاق الكوخ لتصد عن ساكنيه الهواء كما يقول شاكسبير ، ولكن ليست هذه الشخصية إلا ظاهرة فانية مع الموت ، ولها بطانة باقية الى الأبد ، ليست إلا قالباً صيغت فيه

حقيقتك الخالدة . فالفرد منك ظاهرة مادية عارضة محصورة في أطواق الزمان والمكان ، فلها بدء وخاتمة ، وهي تشغل حيزاً من الفراغ ، فأما سرك وجوهرك ، أما الحقيقة التي اندست في مادتك فلا تعرف زماناً ولا مكاناً ، فهي في الكون منذ الأزل ، أرادت أن تثبت وجود نفسها ، فتجسدت في الكائنات التي ترى ، فهي لا تختلف في شخصك عنها في شخصي ، أو في شخص هذا

أما أحدهما فكان يجب الحياة ويخشى الموت ، وأما الآخر ففيلسوف يستصغر شأنها وينفذ بصره وراء ظواهرها الزائلة إلى حيث الحقيقة الخالدة . جمعت بينهما الأيام على مائدة واحدة فدار بينهما الحديث وتشعبت أطرافه ، وما لبث الحوار بينهما طويلاً حتى مس موضع التناقض بينهما . . .

تراسيا كوس - لله ما أعجب الموت ! لا يكاد يمس الحى بأطرافه الباردة ، حتى تنقلب تلك القوة المفكرة المدبرة الفعالة إلى جهود الصخر ، يلقى بها في جوف القبر الصامت ، وكأنها بعض تربته ، أفتستطيع يا صديقي أن تحدثني حديثاً جلياً واضحاً لا يغمض ولا يلتوى عن قصة هذا الموت العجيب ؟ ماذا عساي أن أكون بعد هذا القضاء المحتوم ؟

فيلاليس - ستكون كل شيء ، ولن تكون شيئاً تراسيا كوس - لم أكن والله أتوقع منك حين طرحت السؤال ، إلا عبارة كهذه مبهمة مرنة ، أسرفت في المرونة والابهام حتى وسعت كل معنى ، فلم أظفر مما أريد بشيء ، وماذا عسى أن أفيد من جواب يتنافر الصدر فيه مع العجز ، ويتناقض شطره الأول مع شطره الثاني ، فيزيد المشكلة تعقيداً على تعقيد ولا يوضح منها شيئاً ؟ ولكنها الفلسفة العقيمة تأتي إلا أن تعلق بنفسها فوق مستوى الأفهام فتربك العبارة إرباكاً وتغلقها إغلاقاً ، كأنما أريد لها أن تقتصر على قائليها ، وكان خائفاً بها إن أرادت أن تتمكن لنفسها من العقول ، أن تلمس سبيلاً طبعاً ذلولاً ، لا وعراً ولا شائكاً ، فيروده الرائدون جميعاً .

فيلاليس - عفواً صديقي ، فما قصدت إلى التناقض عمداً بل اضطررت اليه اضطراراً ، فهذه اللغة التي تواضع الناس على اصطناعها في التفاهم ، لم تنشأ أول أمرها إلا لكي تكون أداة

* يوضح هذا الحوار فلسفة شوبنهاور في إرادة الحياة ، وخلاصتها أن الحياة تستعين بالأفراد على بقائها ، فهي لانعنى بالفرد مادامت تحقق البقاء في الأفراد الآخرين ، وقد أخذنا مادة هذا الحوار وأشخاصه من فصل كتبه شوبنهاور .

سحر المنطق وطلاوة الحديث ! ! انى لأ كاد أستخف بشخصى وأستصغر حياتى ، التى طالما أحببتها وحرصت عليها أشد الحرص ولكن هيهات ، فلن أتمدع بهذا الأعراء ، ومازلت أريد بعد هذا كله أن أحيا بهذه الشخصية نفسها

فيلا ليش - يارعاك الله ! كأنما بلغت شخصيتك من الكمال شأواً بعيداً ، بحيث يعز ضربها على الدهر ، وكأنك عاجز الخيال لا تستطيع أن تتصور حالاً خيراً وأسمى ؟ عجيباً ! ألا تريد أن تستبدل بنفسك الناقصة المحدودة نفساً أسمى مرتبة وأبقى خلوداً ؟

تراسيا كوس - ولكننى يا صديقى لست أملك فى ذلك اختياراً ، فشخصى بالغاً ما بلغ من نقص وتحديد ، هو نفسى ، وهو عندى أعز ما فى الوجود ، لأعدّل به شيئاً ، ولا أرجو إلا أن يمتد الأجل بهذه الذات التى ترى صورتها وتسمع صوتها ، ولا يعينى فى كثير أو قليل تلك الحياة الخالدة التى تظل باقية فى الكائنات الأخرى ، والتى تحاول بكل ما وسعك من دليل أن تقيم الحججة على أنها حياتى أنا ، فلست أرى خيراً فى حياة لأحس بنفسى أنها حياتى .

فيلا ليش - لست وحدك يا صاح تريد أن تبقى ، فكل كائن دبّت فيه الحياة يريد البقاء ، وحسبك هذا دليلاً قوياً على أن هذه الرغبة الشاملة هى التى تنطق فىك بهذا الرجاء ، إنها ليست صحيحة الفرد منك ، ولكنها نزعة الوجود بأسره ، إنها قوة عامة تنشده البقاء ولا عبرة عندها بالأفراد مادامت تحقق بقاءها المنشود ، فرغبة البقاء ، أو ارادة الحياة ، وقد التمتت لنفسها الوجود والخلود ، ففسدت نفسها فى أفراد الكائنات ، وألقت فى أنفسهم وهماً بأنهم غايات مقصودة لذاتها ، لكى يحرصوا على الحياة ويكونوا وسيلة صالحة لبقائها ، والواقع أنهم ليسوا إلا أداة تستغلها تلك الارادة ، وسواء لديها أفنى هذا الفرد المعين أم امتد به الأجل ، مادامت تجد من غيره ما يضمن بقاءها . . . حسبك يا أخى أن تعلم أنك أداة لتلك الارادة الشاملة ، وأنت صورة من صورها ، وأنت لست غاية مستقلة قصدت لذاتها ، وأن الحياة لن تخسر بفقدك شيئاً ، بل لعلها تجنى من ذلك خيراً كثيراً ، لأنها كانت سجيئة فى قيود فرديتك ، مثقلة بمادة جسدك ، ثم انطلقت الى حيث لا قيود ولا حدود ! حسبك هذا لتعلم أن قصة الموت صبيانية تافهة ،

[البقية فى اسفل الصفحة التالية]

الطائر الذى تراه يخفق بين أطباق الهواء . . . فان أدركتك المنية سيفنى منك الفرد ، وستخلد الحقيقة ممثلة فى سائر الأحياء ، لعلك الآن قد آمنت بما زعمته لك من أنك لن تكون بعد الموت شيئاً ، وستكون كل شيء ؟

تراسيا كوس - ولكن خلودى فى أشخاص آخرين لا يساوى عندى جناح بعوضة ، مادمت لن أحيا بشخصى هذا ، فان كان تراسيا كوس الذى يطارحك الحديث الآن ، سيفنيه الموت ، فسحقاً للحقيقة ، إذ ليس لى فى خلودها غناء .

فيلا ليش - مهلاً ! هب أنك خيرت فى أن تعيش بعد الموت بشخصيتك التى تتشبث بها على شرط واحد ، وهو أن تسلب منك تلك الشخصية شهوراً ثلاثة فحسب ، ثم ترد اليك الى الأبد ، فماذا أنت قائل ؟

تراسيا كوس - لا أتردد فى القبول فرحاً راضياً .

فيلا ليش - ولكنك تعلم أنا لو سلبناك الوعى والشعور حيناً من الدهر ، ثم بعثنا فىك اليقظة والحياة ، فلن تدرك كم لبثت فى غيبتك إلا أن يقص عليك نبؤها بعد البعث . فهؤلاء أصحاب الكهف أووا الى كهفهم فضرب الله على آذانهم عدة سنين ، ثم بعثهم ، فقال قائل منهم كم لبثتم ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ؛ مع أنهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً . فان كنت كهؤلاء ستفقد إدراك الزمن ، فما ضرك لو أطلنا أمد الرقاد المفروض الى آلاف ثلاثة من السنين ؟

تراسيا كوس - لا شيء ، أحسبك مصيباً فيما تقول !

فيلا ليش - وإذا فرضنا أن تلك الآلاف الثلاثة قد تعاقبت عليك فى رقدتك ، وأن أحداً لن يوقظك بعدها ، أفنتظن أن فى ذلك وبالاً عليك ؟ اللهم لا ! فان كانت عشرات قليلة من السنين قد عودتاك الحياة وربطتاك بها رباطاً وثيقاً ، يعز عليك كثيراً أن تنفصم عمراه ، أليس أجدر بذلك الأمد المديد أن يعودك الموت ويوثق بينك وبينه الصلات ؟ وأحسب أنك لو ظفرت بمن يبعثك ويرد اليك وعيك المفقود ، لن ترضى عندئذ أن تطرح حالاً لا بستك طوال ذلك العهد الطويل ، وسيزيد فى اطمئنانك حينذاك علمك أن هذه القوة السحرية العجيبة التى تحببك فى الحياة الآن ، ستظل تنشر من الأحياء ملايين وملايين لا تنفك متعاقبة الى الأبد .

تراسيا كوس - ما أبرعك فى الحوار ، وما أروعك فى

الماء والسماء

بقلم محمد قدرى لطفى

لسانسيه في الآداب

للكون ، ومطلباً لكل ذى روح ، ثم شاء الا تقطع بينهما الأسباب والا تبعد بينهما الوسائل ، فتقاربا على بعد ، وتدانيا على تناء ، أضاءت السماء بنور الشمس ، فأرسلت على الماء من شعاعها فضة لا تذوب ، وتحلت السماء بضوء القمر ، فأهدت الى الماء صورته ، ورسمت على سطح البحر ظله ، وتجملت السماء بوشى النجوم ، فبعثت الى البحر منه بريق ، ويا عجباً لوفاء تلك السماء لهذا الماء ، ما يكاد ينقضى النهار وتعزم الشمس المغيب ، حتى توصيها الا ما قصدت الماء في طريقها الى الغروب ، وأبلغته سرّاً من الأسرار لا يلبث وجه الشمس أن يحمار له احمراراً ينبى عن السر ، ويفصح عن مدلول الكلام ، ويا عجباً لهذه السماء تضحك من أهل الأرض ، فتخيل اليهم أنها تلاقى الماء عند الأفق ، وتحسب أهل الأرض لها عدلاً ، فتوهمهم أنها طوقت الماء بجناحها ، وأرخت على صفحته طرفاً من ذيلها ، وتمكر بأهل الأرض ، فكلما قربوا من الأفق ابتعد عنهم ، وكلما علوا عنه اتسع أمامهم مداه ، ويا عجباً لهذه السماء حين تدل على الماء ، وحين تتجنى على البحر ، فتغرى به الشمس أن الفحيه بشواظ من نارك تنفذ منه الى الصميم ، وأرميه بسهام من شعاعك تحترق منه الفؤاد ، فما تكاد الشمس تأمر بأمر السماء ، حتى يضيق البحر بوهج الأشعة وألم السهام ، فتذوب حشاشته ، وتبخر عزيمته ، وما تكاد السماء تحس حر أنفاسه ، وتشعر بلافح زفراته ، حتى تسيل من الأسى دموعها ، وتتقرح من البكاء مقلتاها ، لله شأنها ! ! تريد أن تلعب بالنار فلا يمسها سوء ولا يلحق بها أذى .

ويأبى البر أن يترك الأمر خالصاً بين السماء وبين الماء ، فيود أن يكون له معها شأن أى شأن ، ويجب أن يكون له من كل نصيب وافر ، فيلجأ البر الى أهله يغريهم بالبحر ، وويل للبحر يومئذ من الانسان ، ويسلطهم على السماء ، ويا للسماء يومئذ من أهل الأرض ، أما البحر فقد قدروا عليه ، وهزئوا به ، فركبوا متنه ، ونحروا بالسفن عبايه ، وجرءوا عليه ففاصوا بالعلم الى قاعه ، لم يخفهم منه موت ، ولم يرهيبهم فيه وحش ، أقاموا فوقه الجسور ، وشيدوا عليه السدود ، فقطعوه ولم تبطل لهم قدم ، وعبروه ولم يخلعوا لهم ثوباً . وهكذا قرب البحر من الانسان فاستخف به ، وتكشفت البحر للانسان فلم يخش ما فيه ، ولو قد كان بعيداً لما استخف به أحد ، ولو قد كان غامضاً لما اطمأن اليه انسان ،

كلاهما أحب الزرقة فأثرها لنفسه لونا ، وكلاهما آثر الرهبة فآخذها لنفسه وصفا ، وكلاهما يمتد فلا يبلغ البصر منتهاه ، ويسرح فلا يعرف الطرف مداه ، قد حجب كل منهما الذى وراءه ، ولم يبد كل منهما غير صفحته ، لا تمل السماء النظر الى البحر ، ولا يمل البحر التطلع الى السماء ، صفحتان متشابهتان ، ووجهان متقابلان ، قد ييسم كل منهما لصاحبه فيصفو أديم السماء وتنبسط أسارير البحر ، ويكتنف ما بينهما هدوء يشرح الصدور وترتاح له النفوس ، وقد يدل كل منهما على صاحبه ، ويمكر كل منهما بمقابله ، فيعلو وجه السماء سحب خفيف ، أو يسدل عليها نقاب منه شفاف ، وترسم على وجه البحر تقطية من الموج . لا يلبث معها أن يهدأ فتزول ، وقد يتجهم كل منهما لصاحبه ، ويتجنى كل منهما على الآخر ، فتسدل السماء على وجهها حجاباً من السحاب أدكن اللون ، لا يشف عن شيء ولا ينم على شيء ، ويشور البحر فى عنف ، ويحتد فى غضب ، فيرغى ماؤه ويزبد موجه ، ويشتكى من لطاته شاطئه ، وقد تستسلم السماء الى البكاء ، فترمى البحر برذاذ من الدمع أو بوابل من المطر ، وقد يزأر البحر فترعد السماء ، ويزهو بياض الموج فيشتد من البرق اللمعان .

سبحان الذى جعل بينهما هذا الفضاء مجالا للطير ومسرحاً لكل ذات جناح ، وتعالى الذى جعل بينهما هذا الهواء حياة

فليس جديراً بالخوف والاشفاق ، وليست حياة الفرد خليفة بهذا التقدير العجيب ، ولكم يعثنى على السخرية إنسان يتمسك بحياته ويتشبث بها ، ويشفق من الموت ويخشاه ، كأنه وحده الكائن الحى الذى نيط به بقاء الحياة

تراسيا كوس — ليس لعمرى أبعث على السخرية من هذا الهراء ، ولولا رغبتى فى السمر والهو ، لما استمعت اليك لحظة واحدة .

زكى نجيب محمود

من الفصول التي يجب أن تقرأ مراراً

العاطفة في الأدب

لفوتاف لانسون

الأستاذ بكلية الآداب في باريس

ترجمة الأستاذ محمد رويحي فيصل

— ١ —

تعوق العقل عن التأمل والتفكير أمور شتى وعلل مختلفة ،
أهمها في نظرنا هذا الاعتقاد السائد أن نشاط الذهن يخدم العاطفة
المشوبة ، ويقتل النزوة الحية ، ويحبس القلب الخفاق ، فلا أمان
ترف ، ولا أحلام تطيف ، ولا ذكرى تلوح ، ولا هوّى ييوج ، وإنما
العقل كله قد نأى عن ركدة الحمود ، واستيقظ من نوم الجمود ،
رأى في إثر رأى ، وخاطر يتلوه خاطر ، ومقدمة تسوق الى نتيجة ،
وتحليل يسلم الى استنباط ! إنه ليحسن بالأديب المبين أن يخفق
صوت الفكر ويطمس معالمه ، ثم لا يُنطق سوى قلبه ، ولا
يترجم عن غير له . إذن خلعت لغته من ألوان الزينة المصطنعة ،
وصفا أسلوبه من أصباغ البهرجة الزائفة ، ثم تراءت النفس على
سجيتها الموهوبة من خلال السطور ، وبرزت نقية رائمة من بين
سواد المداد .. !!

هذه دعوى — على جمالها وروعيتها — عائرة خاسرة ، ووجه
الخلط فيها أن القلب لا يستغنى عن العقل ولا يستطيع أن ينكره
في حال من الأحوال . فان قوى النفس متحدة مشتبكة ، يتصل
بعضها ببعض ، وتتداخل احداها في جارتها الأخرى ، ويندس
الضعيف منها في القوى ، والكامن في البارز ، والوديع في المتمرد .
وانما القلب الكبير تراه عند من له عقل كبير ، والطلعة البصير
يفطن الى اللفظ ما يضطرب في الفؤاد من الميول والنزعات ،
ويشعر بأدق العواطف وأهدأ الأحاسيس ، وعلى قدر ما يكون
العقل من الثراء والخصب ، أو الفقر والجذب ، يكون القلب عظيماً
رفيعاً ، أو وضعياً خسيساً ! هؤلاء القديسون الصالحون ورجال
البر والاحسان ، هم أصحاب عقول نيرة تناهض عقول العباقرة
والمفكرين ، وقد يكون فيهم سذج غافلون فما يعني هذا أنهم

ففي الغموض سر رهيب ، وفي عسر المنال رغبة في النوال .
ولم يكف هذا الانسان أن يلزم الجدمع الماء ، وأن يتخذ
منه معيناً على الحياة ، وطريقاً الى الممالك والديار ، وإنما أراد
أن يمزح مع البحر ، وأن يلهو بالشاطئ ، فاتخذته الغيد مسرحاً
يخطر فيه ، وميداناً يصلن في أرجائه ، سلاحهن الجمال ، وعدتهن
الرشاقة ، واتخذهن الرجال معرضاً يرون فيه مالم يكن من قبل الى
رؤيته سبيل ، ويشاهدون فيه مالم يوجد عند غيره ، واتخذهن
هؤلاء وهؤلاء ملهى وملعباً ومصطافاً ، فلم يبق للبحر من هيئته
الا اتساع مداه وتراكم لججه ، ولم يعد للبحر من رهبته الا خواطر
التأمل فيه ، الناظر اليه حين يخيم عليه الظلام ، وتضن عليه
السماء بنورها .

أما السماء فلم يبلغ منها أهل الأرض ما بلغوا من الماء ، وإنما
تنافسوا في العلو اليها ، وتسبقوا في الارتفاع الى ذراها ، فحالت
الطبيعة بينهم وبينها ، وأوقفتهم عند حد من الفضاء محدود ، لا يكاد
المرء يعدوه حتى يضطر الى الهبوط أو يورد نفسه موارد الهلاك ،
فتعلق الناس بالريح ولم يبلغوا عنان السماء ، ووقفوا منها على
الأبواب ولم يبلغوا منها الصميم ، وقديماً تمنى فرعون لو أنه بلغ عنان
السماء ، وقال : « يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب
السموات فأطلع الى إله موسى » فهلك عنه سلطانه وصدعن السبيل .
وهكذا بعدت السماء عن أهل الأرض فعزت عليهم وخارت دونها
قواهم ، وأسرفت في التأني عن الناس ، فما زالت وراءها أسرار
هيئات للمرء أن يكشف عنها ، وما زال فيها من الافلاك والاجرام
مالم يعرفه الناس إلا أمانى ، وقد كان أهل الأرض يفرحون
لرؤية السحاب ، ويستبشرون بنزول المطر ، ويضحكون لبكاء
السماء ، فما زالوا يرون فيها مصدر الخير وسر الطبيعة وينبوع
الحياة ، وما زال الناس يلتمسون ضوء النهار من السماء ، ويفتقدون
فيها ضياء البدر أو سناء النجوم حين يخيم الظلام ، فحفظوا للسماء
قدسيتها ، وقدروا لها هيئتها ، وعرفوا الجن في الأرض ، وقالوا
الملائكة في السماء .

والناس يوقنون أن الله معهم أينما حلوا ، موجود أينما وجدوا ،
قد كان في كل زمان ، وهو كائن في كل مكان ، ولكن شاءت قدسية
السماء ألا تلهج الألسنة بالدعاء حتى ترفع اليها الألف وتطلع
نحوها الأبصار ما

محمد قمرى لطفى

الاسكندرية

يكاد يسجل هذه الجملة المألوفة المبتذلة: «إني أحبك» حتى يعيد لفظها ويكرر معناها. سطران لا غير يخطهما المحب، ثم يرى القلم في انكماش ووجوم!!

ونلاحظ أن النفس الراضية المطمئنة قد تلتوى على الكاتب، وتجهده عند الاعراب والتبيين، وتستهلك ملكاته النابهة، وأدواته القوية. أما الميول المصطدمة والأهواء المتعاكسة، فهي تظهر في يسر وسهولة، ولا تستلزم عبقرية عالية أو مبيناً كبيراً. ويرجع هذا إلى أن النفس الراضية المطمئنة، لا تتطلع لغير حاضرها ولا ترغب إلا في هدوئها وراحتها، وهي إنما تنطوي على مشاعر حلوة صافية لا سبيل إلى الخلوص إليها بلفظ أو كلام، وحسبها من ذاتها أن تستمتع بما تحس، وتتملى ماتشعر، وتذوق ماتحلم! ولكن الميول والأهواء إذ ترتطم وتتعاكس تثير ألف خاطرة ولاعجة، من ندامة على الماضي وأمل في المستقبل، وخوف من المصير، وكلها هواجس يفتن لها الكاتب الصغير، بله الألمي القدير، ثم يبرزها مخطوطة واضحة على الطرس...

مظهر الألم صوت ملجلج، ووجه أغبر، ورعشة باليد، ودمعة في الحجر. فلا عراب عنه بلفظ قريب لا لبس فيه ولا غموض إنما يحتاج إلى عقل خصب يتأمل وجه الألم الذي يتحسسه ويدرك قيمته وأثره، ويعرف أين يتحد مع غيره من العواطف، ومتى يختلف ثم يعرضه تماماً صحيحاً غير منقوص ولا مشوّه، وكلما كان التأمل العقلي كثيفاً نافذاً كان الألم أكثر وضوحاً وأبهر لوناً وأدق تعبيراً.

تلکم صفحات الأدب الباکی فقرأوها بامعان، وفتشوا فيها عن القلب المنفطر، وتبينوا النفس المعذبة، ألسم توافقوننا على أن الأديب إنما اتخذ العقل مبضعاً يشق مطاوي القلب، ويسبر غور الضلوع، وينفذ إلى حقيقة البكاء ومصدر اللوعة؟! ولقد حفظ التاريخ القديم فيما حفظ في ذاكرته الواعية رسائل طريفة انحدرت إلينا كاملة من شيشرون ومدام سيقينيه، وهي رسائل تفيض بالشكوى وتنزى بأساً وألماً، كشف فيها الخطيب الروماني عن الحب الأبوي حين ماتت ابنته وذهبت إلى حيث لا رجعة لها، وأبانت المركيزة الفرنسية كيف تتوجع الأم الرؤوم حين تزوج ابنتها في الديار النائية والغربة الطويلة! وإن الآباء

حيوانات هائمة سائمة، ولئن كانت محبة الله وبر عباده استجابة روحانية لنوازع القلب ومطالب الشعور، فإن تأسيس المدارس والأندية وبناء المستشفيات والملاجئ صورة من صور المنطق المنظم، ومظهر من مظاهر الرأي والتدبير.

— ٢ —

يستبد الهوى المبرح، ويجور الألم البالغ، ويطغى الهيجان الثائر، فتختبط النفس وتحتاج الأعصاب ويغلي الدم، ثم تنطلق من شفاء العاني همسة محزونة، أو صرخة يائسة، أو قولة قوية جلييلة، تجرى خالدة على وجه الدهر، وتذهب في الناس مثلاً سائراً وحكمة مضروبة! أما النقد الحديث فما يحفل بهذا النوع من الكلام البليغ الجامع، ولا يمنحه التعظيم والاجلال مثماً تمنحه الأمم والأجيال، وإنما يراه من عمل الراوي المؤرخ الذي سرده لزملائه المعاصرين ولن يليهم إلى يومنا هذا، ويستنكر سبته إلى القائل الحساس، والمؤرخ - بخلاف الصحافي - يمل على الحادث رأيه ومذهبه، ويسرد الرواية على نحوه وأسلوبه، ويسكب الكلام في قلبه ومثاله

ويغضب الرجل فيحول باطنه، ويختل ظاهره، ويضطرب احساسه، ثم تستبين طبيعته الصامتة كما خلقها الله، وكوتنتها الوراثة، ووجهتها البيئة!! يقذف الكلمة من فيه فاذا هي كالسيف مضاءً وتقاوة، واذا هي جماع فطرته النائمة، وعادته الراسخة، وغريزته الكامنة...!!

لغة القلب آهة أو أنة، أو نداء أو عويل، ولكنه يكف عن التوجع والحزن حين تجتاحه موجة من الحب القوي أو الألم المميت، وقد قيل إن الهوى يعمى ويصم! فمن يفرق بين القلب والعقل ثم يروز الأول ويهمل الثاني، لزمه الايجاز في البيان، والاقتضاب في الكلام، ذلك بأن المبين اذ يسمى شكواه ويدل على بلواه، إنما يعلن جميع ما يمكنه فؤاده من الخلجات، ويذكر كل ما يحز نفسه من اللواعج، ثم لا يرى شيئاً يتجذبه مادة للكتابة ومفتاحاً للتحدث والافاضة! تمثل محباً ملأ الحب جوانحه، وتغلغل في حناياه وأحشائه، واختلط بلحمه ودمه، شاء أن يصور هيامه المستفيض في إسهاب وتفصيل، فلتجذبه أحرص الناس على الايجاز في التصوير، وأقلهم تبسطاً في الحديث، فما

وحقيقته . فهم فنانون حقاً يلتمسون مواطن الجمال المنسجم ،
وينشرون مواضع الحقيقة الفنية ، أصحاء الذوق أقوياء الحواس ،
يجمعون الى تبدل اللون وتقلص العضلات واختلال الحركات
تدفق الألم الداخلي ، وأفاعيله النفسية ، وأثره في الرؤوس والقلوب .
وقد رسم شكسبير خطاهم ونهج سبيلهم ، فكان يصور أوضاع
الجسد ثم ينفذ الى الألم ذاته ، ويربط بين اضطراب الحواس
اللدنة ، وهيجان النفس الباطنة

وتحسب الآن أننا كشفنا عن الصلة المتينة بين القلب والعقل ،
ونبهنا الى خطر التفريق بينهما ، والى قلة الابداع والانتاج عند
إحمال التأمل والتفكير ، فان كثيراً من الناس ليحسنون أقوى
الاحساس ، ويشعرون بأشد الشعور ، ولكنهم لا يعبرون عن
احساسهم وشعورهم ، لأنهم ضعاف العقول ضئال التفكير ، وأغلب
الظن أن المبين لو راض عقله وصقل ذهنه بالتأمل الدائب الملح
لوفق في رسالته أحسن التوفيق ، ومضى الى غايته كما يرجو
ويرجوه النقاد والباحثون

— ٣ —

مادام الأديب أداة تصوير وواعية مرهفة تلتقط ما يتساقط عليها
من أشعة الوجود وألوان الطبيعة ، وصور الحياة ، فلن يحس
بالفراغ يملاً ذاته ولا بالوحشة تحف نفسه وكيانه ، وهو أبدأ يرقب
جيشان عاطفته ، ويرصد خفوق قلبه . ثم يستمتع بهواه وشعوره ،
والاستمتاع هنا معناه استيقاف الحياة قبل أن تطوى ، والاحساس
بها احساساً «مضاعفاً» قوياً . وفي النفس نزوات مبهمه خافتة ،
يبصرها الأديب الصانع ثم ينشرها عارية واضحة تكاد من فرط
ظهورها تطفر لعين الرائي المشاهد

ويعتقد الأستاذ إميل فاجيه أن التكلف في البيان أشد ما يبلى
به الأديب الفنان من العلل والأدواء ، وهذا حق لا ريب فيه ،
وانما الريب في قول من قال إن مراقبة النفس تقتضي التصنع ،
وتؤدي الى التكلف ، لأنها إنما تقتل الطبع الموهوب والهمة الفنية ،
والقوة الدافقة . والحق إن المراقبة اذا كانت منظمة متصلة توسع
إطار الاحساس ، وتوضح بداءة الشعور ، وتنهض بالقرينة الخالية
الهامدة . . فلقد تستكين العاطفة ويخمد أوارها ، وتهدأ
حدثها ويبرد لهبها ، وليس هذا مما نسميه النضوب والأحمال ،

والأمهات ليكون أبدأ أولادهم وبناتهم عند الموت ووقت الفراق ،
ولكنهم لا يستطيعون وصف ما تكابد مهجهم من هموم وأشجان ،
وليس الذنب في ذلك ذنب قلوبهم المترعة الفعممة ، وانما هو ذنب
عقولهم القاحلة ، وألسنتهم البكيثة ، وأقلامهم الجامدة

والطريف في هذا الباب ما يزعمه هيجو من ان الشاعر
مصلح عظيم ونبي كريم ، أرسله الله لقومه هادياً الى مواطن الحرية
والجمال والحب ؛ وقد دفع هيجو الى هذا الرأي الأرستقراطي
غريوره المسلكي ، وحماسه الوطني ، وتطرفه المعهود ، وخياله
الواثق . والحق أن الشاعر رجل مثلي ومثلك ، يرى ما نرى
ويشعر بما نشعر ، وانما يمتاز بنوع من الامتياز لا ينهض به الى
صف المصلحين ولا يرفعه الى مقام الأنبياء - يمتاز من غيره من
الناس بهذا العقل الحاجي المسجل الذي يقدر على الأمانة عما يرى
ويشعر ، ويعرف كيف يصور ما يتجاذبه من المنازع والأهواء

فالتأمل الذهني كما ترى ضرورة من ضرورات البيان ، فلا
تظهر الخلجة النفسية على النحو الذي قدتها الفطرة ودفعها
التطور واكتنفتها الحياة ، الا بالمراقبة الباطنية العميقة . والمعود
انما ينبغي أن يكون على شيء من العلم بمواقع الأعضاء حتى يصف
للطبيب المرض الذي ينتابه والداء الذي ينهشه ، ولكن الطفل
إذ يتأمل لا يفقه ألمه ولا يعلنه الا في ابهام : يصرخ ويبكي ، وهذا
كل ما عنده من وسائل الاعلان وأدوات الأفصح !!

إن الأدباء المحدثين ممن نقرأ لهم ونستمع لأحاديثهم في الصباح
وفي المساء ، يلتزمون البساطة في اللفظ والمعنى ، ثم ينحدرون الى
النفس المتأخرة الابتدائية التي لم يصقلها العلم ولم تهذبها المدنية ،
فينزعون منها الشعور الفطير والعاطفة الساذجة ، وهم موقنون أن
الأخلاص في الأدب أو الصدق في التعبير لا يكون الا حيث يكون
الطفل الصغير أو الجاهل الأحمى موضوع الحديث ومدار البيان ،
ولست أعرف انحرافاً عن الحق وخللاً في المنطق يشبه ذلك
الانحراف وهذا الخلل ، فان الثقافة العالمية لن تفسد النفس
والشعور ، ولن تمنعها عن البوح والظهور

وقد كان المؤلفون اليونان يستصرخون أبطال رواياتهم ،
ويستدرون عبرتهم ، ويتعمدون إيلامهم . وكانوا يسهبون في
وصف الألم ، ويذكرون بواعثه ونتائجه ، ويتغفلون الى كنهه

وهمية خيالية ، مادامت الغاية محمودة تبرر الوسطة ثم تخضعها بالتجربة والعادة

كانت العصور السالفة تقدم للمبين مواد التفكير الصحيح ، وأسباب العاطفة الحية ، وأدوات الكتابة الخالدة . وكانت الظروف والأحوال تنشيء المرء إنشاء جميلاً قوياً ، وتعدده حياة شديدة فيها من الجد والنشاط ، ومن الأبداع والانتاج ما يزرى بحياتنا الحاضرة الرأكدة ، ويستخف بعيشنا اللاهي الهازل !!..

كان الطالب إذا نال الشهادة وخرج من المعهد لا يرى بضاعته من العلم إلا قليلة موجزة ، ولا يعتقد في نفسه إلا القصور والجهل ، فما يزال يقرأ في الكتب والأسفار ، ويتلقى عن من هو أكبر منه سناً وأوسع تجربة ، حتى يريش ويهرم ، فهو أبدأً في دراسة دائبة ، واختبار متصل . ولم يكن مقياس النبوغ سعة القراءة والرواية ، وإنما هو الفهم السليم والنظرة الصائبة . وكانت الآداب على اختلافها دروباً متشعبة تنحدر كلها به إلى النفس الانسانية يطالع منها ما يطالع ثم يجمع المتشابه ويفرز المتشابه ، ويستعمل النابه ويعنى بالضعيف الخامل . أما القصة فما كانت تتلى للتسلي والمفاكهة أو لتزجية الوقت والفراغ ، وهي التي قد تبلغ عشرات المجلدات مخطوطة ومطبوعة ، وتلاقى من الرواج والذيع ما يستدعى الدهشة والأكبار ! هذا إلى تراجم المؤرخين ، وتأملات الحكماء ، ومواعظ الزهاد والخطباء ، مما يوقظ العاطفة والشعور ويربي ملكة الانتباه والتفكير . وفي حضرة المرأة والطفل الناشئ كانت تثار في غير تخرج ولا تقيّة أعوص مسائل الدين والأخلاق والسياسة والاقتصاد . وكان العرف الديني والاعتراف الكهنوتي ، وحب الفضيلة يقلق المؤمن ، ويقض مضجعه ، ويضطره إلى مراقبة نفسه وإلى التعبير الدقيق عن خطرته ونياته

ومن ثم كانت النساء اللواتي لم يتعلمن سوى الأدعية والصلوات ، وكان الشبان الذين لم يفقهوا غير المبارزة والرقص - كان هؤلاء جميعاً يعبرون عن مرادهم تعبيراً حسناً ، ويفكرون تفكيراً صحيحاً ، فكانت الكتابة عندهم كالمحادثة والحوار ، يمنحونهما الجهد والأناة ، ويقصدونهما بقلوبهم وعقولهم مجتمعة متساندة .

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

وإنما هو أثر من آثار الأعياء والنصب الشديد ، كأنما العاطفة المكدودة تنام في جو مظلم ساكن ، وكأنما القريحة المتعبدة تقف عن الشعور فترة غافلة من الزمان ! وفي هذه الحال لقد يأخذ الأديب نفسه بوصف منظر أو تبيان خلجة فيقف مكتوف اليدين متبلد الحس ، جامد القلم

فالمراقبة إنما توقظ العاطفة النائمة أو هي تهيجها كلما غفت ، ومن العجب أن تكون سبيلاً إلى التكلف المرذول والتصنع المقوت ، وعهدنا بكبار الشعراء أمثال لافونتين ولامارتين أنهم على هيامهم بالتنقيح والمطالعة والتأمل ، كانوا أطلق الشعراء لساناً ، وأرقهم بياناً ، وأسلسهم لفظاً

ومن الأدباء من لا يستوحى نفسه ، ولا يترجم عن طبعه ، وإنما يستقى من ذاكرته ومحفوظاته وقراءته ، وهؤلاء يكتبون في غير جدوى ولا طائل ، والمعروف المتداول أنهم يأتون غالباً بتشابه مستعارة ، وكنيات معادة ، وصور مبتذلة لا تعبر عن « شخصية » ولا تنم عن جديد مبتدع . وإنما الرجوع إلى الطبع دون الذاكرة الحافظة هو مصدر الأدب الخالد والابتكار القويم ، وليس من شك في أن التكلف يضمحل ويترايل أثره ، كلما رجع الفنان إلى نفسه وعود على طبعه واستقى من عبقريته . ولقد يجمل بالمبين أن يتناول ما تمده القريحة في الوهلة الأولى واللحمية الخفيفة ، وألا يصطنع شعوراً لا يتردد في أطواء نفسه بل يأخذ ما جادت به العاطفة من غير جهد ولا عناء !!

وكلمة « أنا » وما يشتق منها قد تكون سبباً مباشراً من أسباب التكلف البياني ، لأنها تتصف بالشمول وتجمع الشتات كأنما هي عنوان النفس ورمز العاطفة ، والسبيل الذي ينبني أن يسلكه الأدب الرفيع هو أن يحمل كل لفظ من ألفاظ اللغة جزءاً من النفس وقسماً من العاطفة ، أما « أنا » فما ينبني أن تكون إلا عيناً تتفجر منها الأفكار والمعاني ، وتصدر عنها الأساليب واللغات ، وتصب فيها فروع الكلام وأغراض البيان

فاذا كان في هذا عسر ومشقة ، فإن الرياضة والمران حقيقان بأن يذلل كل شيء ، وكما يخلق اللاعب المرتاض لجسده الحواجز ليجتازها ، والجبال ليتسلقها ، والوديان ليهبط إليها ، كذلك يخلق المبين لنفسه طرائق ملتونة لمارسها ، مهما تكن تلك الطرائق

١٠ - أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ حسن الطويل

المالكي

الامام العلامة ، شيخ الشيوخ ، وأستاذ الأستاذين ، وأحد من تفرّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول ، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس ، والتأدب بآداب الشرع والتمسك بالكلمات .

وهو حسن الطويل بن احمد الطويل بن علي ، ولد بميعة شهالة إحدى قرى النوفية ، حوالي سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبي خطوة . وذكر الشيخ بشير الظافر في كتابه اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة ، أنه ولد سنة ١٢٥٦ ، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها ، ثم انتقل الى طنطا وهو صغير ، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدي نحو سنتين أو ثلاث ، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر ، فقرأ على شيوخ

أما اليوم فالذاكرة الحافظة هي غاية الغايات ، يكادسون فيها ضروب العلوم والفنون على مدى ضيق من الزمن كما يكادسون في المركب أصناف البضائع على غير نظام ولا تؤدّد لتقلها إلى الرفأ سالمة لا أكثر ولا أقل . والرفأ هنا هو الفحص الذي ينتهي عنده الدرس ، وينسى الطالب بعده ما اكتسب من العلوم . ذلك بأنه تعلم منفعلاً لا فاعلاً ، تعلم كما تدور الآلة من غير وعى ولا تفهم ، فالبرامج واسعة ، والوقت قصير ، والتمثيل منعدم ، والهضم سيء .

وجملة القول أن التربية الحديثة ، لا تتلاءم مع شرائط الصحة العقلية ، ولا تهيب العاطفة للفن والكتابة . وما دام الخروج على البيئة مستحيلاً ، فإن تهذيب الشعور وتنمية التفكير مطلبان جليلان

ينبغي العناية بأمرها والنهوض بهما

محمد رزقي فيصل

حمص « سوريا »

العصر ، مثل الشيخ محمد عيش المالكي في الفقه والحساب وغيرها ، وعلى الشيخ حسن العدوي الحزاي ، والشيخ ابراهيم السقاء ، والشيخ محمد الأشموني ، والشيخ محمد الأنباري ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي ، فظهرت عليه النجابة ، وابتدأ في حضور السعد ، وكان من دأبه في أول أمره معاكسة المشايخ في الدروس بكثرة الأسئلة والمناقشات ، حتى حدث ما اضطره إلى الأنقطاع عن الأزهر ، وسبب ذلك أن أبناء العمدة وأقاربهم طلبوا للدخول في الجندية بقانون وضع لذلك أمر به سعيد باشا والي مصر ، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم

تجنيدهم بأمر سعيد باشا

وجند مع من جند فصاروا واحداً منهم ، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم في التفريط في الفروض ، فكان يواظب على الصلوات والأوراد ، وكان الوالي يكره من الجند من يصلي ، وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ احمد شرف الدين المرصفي كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة ، رجاء أن تفرج كربته ونخلصه من الجندية ، فوقع الكتاب في أيديهم ، وعدوه لذلك مذنباً ، وكان عقاب المذنبين عندهم اهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم في السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة ، فكان المترجم يشتغل في هذه الأعمال بهمة زائدة تادياً لنفسه ، لأنه ظن ما وقع له عقاباً على جراته على مشايخه ، وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة ، والعاصين المذنبين بالتمردة ، فغضب مرة على التمردة وأمر بطردهم من الجيش ، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين له ، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الأمدادية ، وخرج المترجم معهم ، فأقام بقريته مدة ، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق فرأى أن يسافر اليه فسافر الى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال المنية أي منية ابن الخصيب ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق

فراره

ثم طلب الى الجندية مرة ثانية فذهب اليه أبوه ليحضره وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو بل عاد مع أبيه الى قريته فوجدهم أهملوا طلبه ، فحمد الله وأراد والده ابقاءه معه في القرية خوفاً من أن يعود الى الصعيد ، فضاقت المترجم بهذا الأمر وخرج

ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده ، والشيخ محمد الغريني ، والشيخ عبد الرحمن قرآعه ، وقرأ عليه أيضاً الشيخ محمد بخيت ، والشيخ داغر ، والشيخ محمد المغربي ، والشيخ أحمد الزرقاني ، وغيرهم ممن لا يحصون ، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ راضي البوليني ، والشيخ عبد الرحمن فودة ، والشيخ عبد الرحمن قرآعه ، فكانوا يقرأون عليه في داره دروساً غير الدروس الأزهرية ، وسحبوه ولازموه فانتفعوا به في دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه .

ثم نقل الى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها ، ولما مات الشيخ زين المرصفي مفتشها الأول سنة ١٣٠٠ ، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثاني جعل المترجم مفتشاً ثانياً . ثم نقل مدرساً بمدرسة دار العلوم ، فعم الانتفاع به ، وتخرج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة التخرجين في هذه المدرسة كالشيخ الفاضل حسن منصور ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ محمد الحضري ، والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من أفاضل الوقت .

وفاته

وبقي في هذه المدرسة الى سنة ١٣١٧ ، وكانوا شرعوا في الامتحان قبل الأجازة المدرسية كالعادة ، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته . ثم ذهب لداره معافى ليس به شيء ، واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح . ثم طلب الافطار والقهوة ، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم ، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة في موت كبار العلماء ، وأم داره شيخ الأزهر الشريف الشيخ عبد الرحمن الشريبي ، والشيخ محمد عبده المفتي ، وجميع العلماء والفضلاء ، وكبار نظارة المعارف ، وتلاميذه من الأزهر ودار العلوم ، وشيعت جنازته تشييعاً سنياً ، فصلوا عليه في الأزهر ودفنوه بمقابر المجاورين رحمه الله وغفر له عدد حسناته . ومن غريب المصادفات أنه زارني قبل وفاته بيومين في ليلة مقمرة ، فجلسنا في صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعاً به مع قلة اجادته فيه ، فقال لي عند ما أراد الذهاب نحن الآن في الامتحان ، وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق في هذه الأيام من الناس ، ونفسي تجنح للعزلة ، فهل تعرف لي مكاناً أقضى فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت يا سيدي اذا انتهى الامتحان فالأوفى أن نسافر معاً الى ضيعتنا التي بقويسنا فنخلوا

من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئاً ، فمشى على قدميه بيت في كل بلدة تصادفه حتى وصل الى القاهرة ، ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما معه شيئاً أكله ، وذهب الى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقاري في طريقه ، فلم أرأي المترجم أسرع اليه وهش له ، وأخبره أنه يطلبه من مدة . ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهراً لا يتكلف شيئاً من عنده ، وكان مراد السقاري نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء ، فنظمها له وأخذ السقاري عليها أربعين ديناراً جائزة . ولما انقضى الشهر حف الله المترجم بعنايته ، فطلبه الشيخ حسن العدوي لتصحيح البخاري ، وكان شرع في طبعه فانتفع بأجر التصحيح . ثم طلب الى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به ، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة ، وامتحنه فأعجب به ، وكاد يطير فرحاً وقال عنه هذا جوهرة خفيت عنا ، واستخدمه في الحال لتصحيح بهذا الديوان ، وسمى له حتى محوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه .

تقافة شامدة

وكان المترجم في هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به ، مع القيام بتصحيح بالديوان ، حتى شهد له شيوخه بالتأهل للتدريس فدرّس بالأزهر ، وكان أول درس قرأه في شوال سنة ١٢٨٣ . وابتدأ فيه بالقراءة في الأزهرية . ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر ، بل بحث ونقّب ، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الافغاني فتلقّى عنه العلوم الحكيمة ، وبرع فيها ، وتلقّى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي ، ونظر في الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية ، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر ، وطالع كتب اللغة والأدب ، ونظم الشعر السهل ، وكتب الترسّل البديع ، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علماً إلا ويسعى اليه ، ويتلقاه عنه كأنه من كان ، حتى صار نسيج وحده ، وقرع دهره ، في سائر العلوم مع بعد النظر في السياسة ، وسعة العقل ، وسلامة العقيدة ، وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات في الدين .

مناهب تلاميذه

وقد قرأ عليه في الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين ، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة ، والشيخ محمد عبده ، والسيد أحمد الشريف ، وابراهيم بك اللقاني ، والشيخ محمد راضي البوليني ، ممن قرأ عليه في الطبقة الأولى من تلاميذه . ثم قرأت عليه طبقة

فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحي القاهرة عند تلميذه الشيخ عبد الرحمن فودة فيقضى عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت فلما عرفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر في بعضها إلى ضيعتنا التي بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكنت أقضى معه هذين اليومين في مطالعة واشتغال حتى في حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معي وأسمعه فيه فيقرر لي المسائل ونحن سائران

بابه متصرفاً

وكان رحمه سني العقيدة ، صوفي المشرب ، لا يجيد عن الشرع قيد أصبع ، أخذاً بمذهب الامام ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى ، منكرأ على المبتدعة أشد انكار ، آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين ، متضلعاً من الحديث ، متحصناً بالشريعة في كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات ، وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية ، فكان أمره في ذلك عجباً وشأنه فيه مستغرباً ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومع انحراف علماء الأزهر عنه لانكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه ، فانهم كانوا مقرين بفضله ، وكثيراً ما كانوا يحتاجون إليه في معرفة أسرار الشريعة ، وحل مشكلاتها والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين

أخلاقه ومسامحه

أما أخلاقه فزهدي غريب ، وعلو نفس عن الدنيا ، وبعد عن الرياء ؛ وتواضع مع كل انسان ، وسذاجة في المطعم والملبس والمسكن ، لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقي في الخفاء ؛ فلما مات قام الصراخ في دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل ، كان يعولهم في كل شهر بما فضل من نفقته ، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصمهم به إلا بعد موته .

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين ، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر في مشارق الأرض ومغاربها ، منتظراً فرجاً يأتيهم ، ولطفاً من الله يحفهم ، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين ، تقوى على جمع شملهم ؛ ولذلك لما قام المهدي بالسودان وانتصر انتصاره المشهورة واستولى على البلاد السودانية ، أحسن المترجم فيه الظن

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

فيها بكتاب نقرؤه ، فقال نعم الرأي هذا ، وسأستصحب معي ولدي حسناً ليشارك معاً في القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ويسر له العزلة ، ولكن في دار قراره ، فاصبت فيه مصيبة لم أصبها في بعيد ولا قريب ، لما كان له عليّ من الفضل ولو لم يكن له عليّ سوى تصحيح العقيدة وتأديبي بأداب الحنيفية السمحاء لكفى .

الأستاذ برسر

أما سبب اجتماعي به وقراءتي عليه ، فاني كنت خرجت من المدارس بعد تلقي ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا في سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس إلا أنني كنت مولعاً من الصغر بالاسلام ومحاسنه ، والمطالعة في السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدري لأشياء ، وينقبض من أشياء تعرض لي فيها شبهات . ثم كنت أعرض ما يظهر لي من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التي تمسكوا بها ، وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التناقض والتصادم ، فصرت أردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم ، لعلي أجد عندهم مفرجاً فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات ، حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين ، فاما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقاً ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل في النفس .

حتى أرشدني بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت في السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفرونني منه حتى بالغ بعضهم عامله الله بما يستحق ورماه بالزندقة ، فقلت اذا كنت لم أجد طليبتى عند من تسمونهم بالصلاح والورع ، فلعلني أصيبها عند الزنادقة . ثم سعيت في الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه ، والاهتداء بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة . ثم قرأت طرفاً من الحكمة في شرح الدواني على هياكل النور للسهروردي ، وشرح رسالة الزوراء وغير ذلك . ولما رأني مجدداً في التحصيل ، قرر لي درساً ثانياً بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها ، وأنا في كل هذه المدة أستوضح منه ما أشكل عليّ فيحله لي ، فكان اجتماعي به ومصاحبتي إياه من أكبر نعم الله عليّ في ديني ، وكثيراً ما كان يفضب مني ويؤنّبني اذا رأى مني تهاوناً في الصلاة .

وكان من عادته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس

المعلقات

رأى جديد فيها

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

اختلف علماءنا قديماً وحديثاً في سبب تسمية تلك القصائد التي جمعها حماد الراوية باسم المعلقات ، وكان حماد أول من جمعها في أواخر عصر بني أمية وأوائل عصر بني العباس ، وذلك أنه رأى زهد الناس في الشعر فجمع لهم هذه القصائد السبع وقال هذه هي المشهورات ، فسميت القصائد المشهورة ، ويراد بالشعر الذي زهد الناس على عهد حماد فيه الشعر الجاهلي القديم ، وإلا فإن سوق الشعر كانت رأجة في عهد حماد ، وكان الشعراء المحدثون في ذلك العهد لا يحصون من كثرة ، وقد ابتدأوا يخرجون على الشعر القديم ويهدون فيه ويهجرون مذاهبه وأساليبه ، وكان أول من فعل ذلك بشار بن برد الذي يعد في رأس الشعراء المحدثين ، وكان من أصدقاء حماد المقربين ، فدعا هذا حماداً إلى محاولة إحياء ذلك الشعر المهجور ، وترغيب الناس في حفظه وروايته ، فجمع هذه القصائد لهم ، ولعلها كانت أول ما جمع من هذا الشعر

ويؤخذ من نص الرواية السابقة في جمع حماد لها أنها لم تكن قبل جمعه لها تعرف بهذا الأسم «المعلقات» وأنها كانت تسمى عقب جمعه لها القصائد المشهورة ، أخذاً من قوله بعد انتهائه من جمعها «هذه هي المشهورات» ولو كانت تسمى قبل جمعه لها باسم المعلقات لقال بدل هذا بعد انتهائه من جمعها «هذه هي المعلقات» فسماها باسمها المعروف ، ولم يعدل عنه إلى ما ذكره في تمييزها ، فعدوله

وقام بنصرته بقلبه ولسانه ، حتى اضطر الانكليز أن يسيروا وراءه عيناً يخبرهم بحركاته وسكناته ، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه لولا أن سلمه الله

ولداومة اشتغاله بالاقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفاً ، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من الدروس ، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم ، شرع في جمع ذلك في كتاب سماه «عنوان البيان» لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦ ، أي قبل وفاته بسنة .

أحمد نيمور

إلى ذلك دليل على أنها لم تكن تعرف باسم المعلقات ، بل إن عنايته بجمعها وما عمله في ذلك من أقوى الأدلة على أنها لم تكن تعرف بهذا الأسم ، لأنها لو كانت تعرف قبل حماد به لكان لها اسم يجمعها ، وكانت مجموعة بالفعل فيه ، ولم يكن هناك من حاجة إلى جمع حماد لها

فإذا أردنا أن نعرف كيف حدث هذا الأسم «المعلقات» لها بعد جمعها ، فلننظر ماجرى للناس معها بعد جمع حماد لها ، فلقد أخذوا يعنون بحفظها وشرحها ، ثم شغفوا بذلك الحفظ والشرح واتخذوها متناً شعرياً مثل المتون التي دونت في العلوم بعد جمعها ، وشغف الناس بحفظها وتعليق الشروح عليها ، ولكن هذه القصائد كانت أسبق جمعاً من هذه المتون ، حتى أتى عليها زمن وهي منفردة بعناية الناس بتعليقها حفظاً وشرحاً ، فشاع لها بين الناس هذا الأسم الجديد «المعلقات» ونسوا به اسمها القديم «القصائد المشهورة» ثم مضوا على ذلك إلى أن جاء من العلماء من عنى بفهم هذا الأسم الجديد لها ، ومعرفة سر اطلاقه عليها ، ففرض له تلك الفروض الخاطئة التي سنبين فيما بعد خطأها

ولاشك أن اللغة تسوغ اشتقاق هذا الاسم «المعلقات» لتلك القصائد مما عني به الناس بعد جمعها من حفظها وشرحها ، فإن الحفظ تعليق لما يحفظ بمحل حفظه ، والشرح تعليق على ما يكون هو شرحاً له ، ولا تزال الشروح التي توضع على المتون ونحوها تسمى شروحاً وتعليقات ، وقد جاء في القاموس والأساس أنه يقال فلان علق علم أي يحبه ويتبعه ، وعلق شر كذلك ، فهذه المعلقات معلقات مما حدث للناس بعد جمعها من حبهم لها ، وتتبعهم إياها بما كانوا يتبعونها به من حفظها وشرحها ، وهي معلقات بمعنى محفوظات أو مشروحات ، وقد خصت بهذا الاسم لأنها كانت أول ما عني بجمعه وتدوينه وحفظه وشرحه من الشعر

فهذا إن لم يكن هو الذي وقع في حدوث هذا الاسم «المعلقات» لتلك القصائد بعد جمعها ، فهو فرض قريب يرتاح إليه العقل في بيان وجه تسميتها بذلك ، وهذا شأن كل الفروض العلمية التي يراد منها تقريب فهم بعض المسائل العلمية من العقول ، إذ تستعصى عليها ، ولا يمكنها بيقين معرفة سرها ، وهو خير من تلك الأمور الخاطئة التي يذكرها من يذهب إلى أن تلك القصائد كانت تسمى قبل جمعها باسم المعلقات ، ولا يذكرها على أنها

لنا هذه ، وأثبتوها في خزائني ، وأما قول من قال إنها علقت
بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة »

ولم يذكر أبو جعفر من هو هذا الملك الذي كان يأمر بتعليق
هذه القصائد في خزائنه ، وقد رجح بعضهم أنه النعمان بن المنذر
لأنه هو الذي كان يعني من ملوك المناذرة بجمع أشعار العرب ،

وكان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول ، وقد صار ذلك
الديوان أو ما بقي منه إلى بني مروان على مارواه أبو عبد الله محمد بن

سلام الجحفي في كتابه طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين
ويستند أبو جعفر في رأيه هذا على ما قيل إلى أن حماداً الراوية
لما رأى زهد الناس في الشعر جمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال
هذه هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة ، ويؤخذ من ذلك
كله أن تسميتها بالمعلقات عند أبي جعفر يرجع إلى قول الملك علقوا
لنا هذه ، لا إلى أنها علقت في الكعبة ، ولست أدري على أي
شيء يستند أبو جعفر فيما ذكر عن حماد في جمع هذه القصائد ،
وهو كما قلنا ينقض تسميتها بالمعلقات قبل جمعه لها ، سواء أكان
ذلك للوجه الذي ذكره أم كان للوجه الذي ذكره غيره

ولاشك أن عصر النعمان بن المنذر أحدث من عصر كثير من
أصحاب المعلقات ، مثل امرئ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم
والحارث بن حلزة ، فلا يصح أن يكون هو الذي كان يعلق قصائدهم
بخزائنه ، بعد إنشادهم لها بسوق عكاظ ، واستحسانه إنشادها ،
بل إن سوق عكاظ ، ويكادون يجمعون على أن تلك القصائد كان
ينشدها أصحابها فيه ، أحدث بكثير من عهد هؤلاء الذين ذكرناهم
من أصحاب المعلقات ، فقد أقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس
عشرة سنة ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم بقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة ، وفي
عهد إنشائها كان جيل امرئ القيس وطرفة وعمرو بن كلثوم
والحارث بن حلزة قد انقرض ، أو كاد ينقرض ، وأنا نستطيع
أن نجزم بأن هذه القصائد السبع لم تقل في سوق عكاظ ، ولا في
غيره من الأسواق العربية التي كانت معاصرة له ، وقد ذكروا لها
أسباباً معروفة قيلت من أجلها ، وأمكنة غير سوق عكاظ أنشئت
فيها ، وذكروا لبعضها ملوكاً غير النعمان قيلت أمامه ، ولسنا في
حاجة إلى تفصيل هذا كله لشهرته

فروض يهون الخاطئون فيها ، بل على أنها أمور وقعت وكانت
سبباً في تلك التسمية

قالوا إن الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب
التي كانوا يقيمونها كل سنة بجوار مكة فيتناشدون الأشعار ، وكان
ينصب للشاعر فيها ربوة فيصعد إليها ، ويحرق به العيون ،
وتشرئب إليه الأعناق ، فينشد قريضه عليهم حتى يأتي على آخره ،
فلا يقاطعه أحد ولا يستوقفه ، فإذا ما أحكم القول ، وبلغ من
الفصاحة ما وقع اتفاقهم على حسنه وإجادة كتبه بحروف الذهب
على نفيس الديداج وعلقوه على الكعبة المشرفة ، تنويهاً بشأن
صاحبه ، وتخليداً لذكوره

وممن قال بهذا أو نحوه في سبب تسمية تلك القصائد بالمعلقات
أحمد بن عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد ، وابن خلدون ،
وابن رشيق . قال ابن عبد ربه : « وقد بلغ من كلف العرب بالشعر
وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ،
فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقها بأستار الكعبة
فمنه يقال مذهب امرئ القيس ، ومذهب زهير ، والمذاهب
سبع يقال لها المعلقات »

وقال ابن خلدون بعد كلام له في ذلك « حتى انتهوا إلى المباهاة
في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام ، موضع حجهم ، وبيت
أبيهم إبراهيم كما فعل امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن
عبد ، والأعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع »

وقال ابن رشيق « وكانت المعلقات تسمى المذاهب ، وذلك
أنها اختيرت من سائر الشعر القديم ، فكتبت في القباطي بماء
الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهب فلان إذا كانت
أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء »

وكان أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ يخالف صاحب
العقد ومن تابعه على هذا المذهب في علة تلك التسمية ، وكان أبو
جعفر معاصراً لابن عبد ربه وهو من علماء المشرق ، أما ابن
عبد ربه فمن علماء الأندلس والمغرب ، وقد ساج في بلاد المشرق
وسمع من علمائه ، ثم رجع إلى بلاده

وقد قال أبو جعفر في هذا من شرحه على تلك المعلقات
« واختلفوا في جمع القصائد السبع ، وقيل إن العرب كانوا يجتمعون
بعكاظ فيتناشدون الأشعار ، فإذا استحسنت الملك قصيدة قال علقوا

صه صهر السحاب

السحاب

فأعجب لأسود ذي يد بيضاء لا ينفك يسبغ من شهي رغبه
جهم الحيا لا يرام لقاءه والجوذ والبركات مله إهابه
عبست لغدوته الرياض فان مضى

هشت لفيض يديه بعد ذهابه
وترقرت في كل روض قصبه
وتأقت حمر الزهور وصفرها
وسرى النسيم مجعاً أين انتهى
كبرديج
فخرى أبو السعود

مُرَجِي الشتاء بخيله وبرجله
يَسْجُوكَ من ماشٍ على لِمَمِ الرَّبِّي
تسعى جنود البرد تحت جناحه
حيث انتحى أرخي مسامح^(٢) دَجِنِه

وتجلل الآفاق جَوْنُ حجابه
ورمى على شمس الضحى بمسوحه
ليس الربيع بمانع رجعاته
فإذا دنا انقبض الفؤاد تطيراً
وأثار في النفس القنوط وأشقت
فإذا سرى برد القلال مخالطاً
أوهى عراه وقت في أوصاله
فجرت عيون الأرض بعد جفافها

وروى نبات الأرض من أكوابه
في كل غاب داغين أو غيضة
وبكل قاع ممرع ويفاعة
وبكل منحدر تدفق مشرع
لم يلف شيئاً ثم يشكو جدبه
حتى إذا أفنى غزير شؤونه
وسخاعلى الوادى الينيع بروحه
ولى وغادر بعده أسلابه
تمايد الأعواد فى أندائه
طرباً وتعدق^(٤) فى نقي روضابه

حيرة

إن روحى فى الفضا حيرى تحوم
واشتهى الشمس فأخفتها الغيوم
فانثنى تعلو جناحيه الموموم

مثل طير ضل عن سرب الطيور
واشتهى الريح فضنت بالمسير
ودعا يشكو ويكي فى دعاه

إن روحى ترتقى هذا الفضاء
فيحيط القدس قلبى بالهناء
وظلام الجور للشك وعاء

وهو ليل مظلم رطب فسيح
وأحس الشك فى صدرى يصيح
وانفساح الأفق للروح صلاه

هذه شتى انفعالات النفوس
جافلات فى عرا قلبى تجوس
اي وعى عند تهتان الكؤوس

كرياح البحر تأتى عاصفات
دون وعى منه بل دون التفات
لذى استعبدت الراح هواه؟

ما أرى جرماً ولا قبلاً بدا
أو جمالا أو حناناً أو هدى
سكن العيش فؤادى والردي

لم يكن يعمر نفسى بعضه
لم يكن يعمر نفسى فيضه
وفؤادى بهما يقضى مناه!

عقد الكون بنفسى الاتصال
وجرى الدهر عليه كخيال
ما احتياجى للمطايا والرحال!

فكأن الكون منى قطعة
هو مما فى جفانى صورة
اننى للدهر والكون نواه!

(١) فى سياق القصيدة محاكاة لطريقة ترديد المعنى بصدى الألفاظ المتبعة فى بعض الأشعار الغريبة
(٢) مسامح: ذوائب
(٣) إلبابه: مكته
(٤) تعدق: تبطل بالماء

رسالة

رسالة كفتيت المسك عاطرةً بكل ما يشتهي القلب من وطير
ما إن تناولتها حتى أحاط بها قلبي ولم يك يدري سرها نظري
ورف في جنبات الصدر مبهجاً كالطير عادت إليه الأم بالثر
وبها الدم في الأحشاء فانتعشت كالزهر جاد رُباه هاطل المطر

مُنَى الفؤاد الذي انضمت جوانحه على لهيب من الآلام مستعر
أهفو اليك وما أندى على كبدى من أن ناديك في الآصال والبُكر

دعنى أذع بعض ما تخفيه جانحتي

ففى الجوانح حب نأثر الشرر وأصطفيك بشعر أنت ملهمه
عف عن اللغو والاسفاف والهذر فمنك أهل شعري ثم أبعثه
أولاً فإن حياى منك يمنعنى من أن أبوح بحب عنك مستتر
فرب عين موك

زهرة

زهرة فى الروض تزهو فى ثياب المترفين
جلست تستقبل الصبوح على العرش المكين

أهديت من كل زهر عاطر أنفسه
وحباها الله خدّاً ناعماً ملمسه

فهى ريحان وور د وهى ربا الياسمين
وهى من مسك وكل الزهر ر من ماء وطن

زينت زنداً جميلاً بسوار الزرد
تعسل الخدين منها بمياه البرد

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

الظلام الوحش حولى لا يريد عن محيا الحق القاء النقاب
فهو يغربنى به كى أستزيد ثم يميه أمامى كالسراب
ليتنى ألقى غشاء من حديد دامج الليل على عيني رماه!

لست أخشى الحق بل أخشى الوجود

وأخاف الزهر يبكى للنسيم وأخاف البحر هدار الوعيد
وأخاف الطير يشدو كاليتيم وأخاف الغصن يذوى كالشهيد
وتلاشيه المنايا فى صباه

انى أخشى بنفسى الانفراد ثم أخشى الناس أن تجمع بى
كم يصيح الدمع فى ليل الفؤاد كهزيم عاصف مضطرب!
انما الحيرة فى فهم المراد مثل داء يجهل الطب دواه

أنا من شىء الى شىء أفرّ حول نفسى مثل مخمور أدور
عقرب وسط لهيب مستعر لا يرى فيه سبيلا للعبور!!
كتب الهم على لوح القدر يوم حار الفهم فى معنى الحياه

هتفت عيناي بى تشتكيان قسوة الظلمة : خوفا وعمى
وهما من كل نور تخشيان ما يوارى : حرّاً أو عدماً
الحياة النور والنور الأمان والظلام الخوف والخوف الحياه!

انظرا هذا شعاع الحق لاح كشهاب يرتقى عرش السماء
كلما جئناه عن قرب أشاح فهو كالشمس التى تطوى الفضاء
يتبع الطفل خطاها فى الصباح عليها تقرب... ماجدوى خطاه؟

يا شعاع الحق فيماذا الفرار أترى لقياك تعنى بصرى؟
أنت للقلب ملاذ ومنار فأزى قلبي وأطفى نظرى
إن يكن لا بد من حمل الستار لن تضىء العين للقلب عماء

حسن عارف

باريس

حافظ بك ابراهيم

الساعر الوفي لمصر

بقلم السيد احمد العيجان

أنا لولا أن لي من أمتي خاذلاً؛ ما بت أشكو النوبا
أمة قد فتّ في ساعدها بغضها الأهل، وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا وتفدّي بالنفوس الرتبا
وهي والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالي لعب القوم بها أم بها صرف الليالي لعبا

ومما يقوى لدينا الأدلة على وفاء حافظ للنيل، ووجه لهذا الشعب أنه لم يكن يقنع بالتحديث عن الغرض الواحد عدة مرات بهذا الأسلوب العالي الرصين، كالذي نراه في وصفه للحالة الداخلية وموقف بعضنا من بعض، وموقف الصحافة منا ومن الوزارة، ثم موقفنا من دار المندوب البريطاني، وبيانه أن طريق الرقي هي العلم، وأنه الوسيلة في النجاح والظفر، وهو من وراء ذلك يضع أمله قوياً في الشباب، ويكثر من ندائه لهم، ولا يزال يستنهض المهتم ويضرب المثل باليابان كما سنوضح ذلك من شعره إن إخلاص المخلص لا يؤدي ثمرته إذا لم تتوفر فيه عناصر ثلاثة: نقد قوى اللجة للمثالب حتى يحس المنتقد ضعفه، ويقف على عيوبه؛ فيجتنب الغرور ويقرب من الفضيلة؛ ونصح سديد الفكرة تظهر فيه سبل الخير ويبين منه طريق الهدى؛ كي يسلكه النصوح له دون عثار أو ضلالة؛ وأمل في الله والشعب كبير رجاء التوفيق وابتغاء الاصلاح.

وهذه العناصر الثلاثة قد ظهرت بوضوح في شعر حافظ، وكان لكل منها مظاهره العدة، وأثوابه المتنوعة. وسنتناول كلا منها على حدة:

١ - نقده: في الشعر السابق وصف حافظ ما نحن عليه من كراهة الأهل وحب الغرباء، وأنا كرماء لضيوفنا، نهوى الألقاب في غير العلا، ونعشق الرتب. ويحدثنا عن حالتنا النفسية باغة سليمة مستقيمة فنحن:

أفنا الجول وياليتنا ألفنا الجول ولم نكذب
تضيع الحقيقة ما بيننا ويصلي البريء مع المذنب
ويهضم فينا الامام الحكيم ويكرم فينا الجهول الغبي
وزاه يحدثنا عما هو واقع بيننا من الفخر بالمال الموروث
أوبالرتب، ثم تأخذه حمية الغضب؛ فيقول إنما الفخر بالعلم
والاخترع، وبالفضل والأدب:

حافظ شاعر النيل متعدد النواحي في الدراسات، متشعب المباحث في تناول، والتحليل الدقيق إنما يكشف كل ناحية ويبين كل مبحث، وليس الألام بعبقريته ونبوغه وشاعريته وخياله مما تأتي عليه هذه العجالة، ولكننا سنقتصر على ناحية واحدة هي وفاؤه للنيل وأهله، وكيف كان هذا الوفاء دفيناً في نفسه، مستقراً في جنانه العاصر، يتحرك به لسانه في كل مناسبة، ويجري به قلمه كلما عنت فرصة

والذي نلاحظه في شعر حافظ هو ما يحملنا على اليقين بصدق وفائه وإخلاصه، ومحبه لمصر وأهلها؛ فهو إذا انتقد كان لاذع النقد قويه، يظهر المثالب، ويعدد المساوي، ويود لو نتخلص منها، ونحيد عنها. وقد يكون في النقد المر اللاذع شكاً في الوفاء والأخلاص لو أنه ضن بالنصيحة وبخل بالأرشاد. ولكن حافظاً حين يهزه الألم من حالة مصر حتى ليود الاخلاص من الدنيا، والفرار من الحياة، وحين يسخط شديد السخط عليهم؛ لم يكن لكراهته لهم، وبغضه إياهم، وإنما لأنه يرجو لهم الخير الشامل الغامر، والرقي الدائم السديد، يحدثنا حافظ عن ذلك بأجلى عبارة وأوضح أسلوب

بَسَمَتَ لِلشَّمْسِ لَمَّا سَطَعَتْ فَوْقَ الجَمِيلِ
وَبَدَتْ فِي الرُّوضِ تَرْهَوُ مِثْلَ حَسَنَاءِ جَمِيلِ

فاسلمى يا زهرة الوا دى من الأيدي العوادى
وانبذى الماء على الأر ض الى ماء العوادى

محمد مصطفى مرده

وجنساً ، ودينياً ، والأجنبي عنا مهبطاً وميلاداً ، والذي لا نلتقي
وإياه إلا في وادي بؤسنا ودار نعيمه ، والذي لا تجمعنا وإياه آلام
ولا آمال . وحافظ يبرى المندوب من كل ذنب ، ويخليه من
الملام فسبيله أن يستبد ، أما نحن فشأننا أن نستعد

وقالوا دخيل عليه العفاء ونعم الدخيل على مذهبي
رأنا نياماً ولما نفق فشمم للسعي والمكسب
وماذا عليه إذا فاتنا ونحن على العيش لم ندأب

أنا لا ألوم المستشار (م) إذا تغلل أو تصدى

فسبيله أن يستبد (م) وشأننا أن نستعدا

٢ - نصيحه وإشارته : ولكن حافظاً لم تغل من عزمه

هذه العيوب ، ولم تكن همته تلك المثالب ، ولم تقعد به هذه المخازي
عن إسداء النصيحة وحث الهمم ، وضرب اليابان مثلاً ،
وجعلها قبلة

فهبوا من مراقدم فان الوقت من ذهب

فهذى أمة اليابان جازت دارة الشهب

فهامت بالعلل شغفاً وهما بآبنة العنب

أجمل من بعد هذا وذاك بأن نستكين وأن نجمدا

وها أمة الصفر قد مهدت لنا النهج فاستبقوا الموردا

ثم زراه لا يرسل النصيحة خلواً من كل سند ، بل يشفعها

بتلقين عظمة الآباء ، والأبياء بعزة الماضي ، ومجد التاريخ ، ويرى

أن الزمان قلب ، والفلك دوار ، وأنه لا علينا أن نهزم اليوم إذا

كنا نتوثب للغد ، وأن نبثلي في الحاضر كي نتأهب للمستقبل

فدنياك يا نيل لا تجزعن إذا اليوم ولي فراقب غدا

فلا ييؤسناك قول العداة وإن كان قبيلاً كحز المدى

أتودع فيك كنوز العلوم ويمشى لك الغرب مسترفدا

ويقضى عليك قضاة الضلال طوال الليالي بأن ترقدنا

وزراه لا ينسى هذا التلقين والأبياء والاعتداد بالماضي في كل

مناسبة وفرصة كما في وداعه لصديقيه محمد بك بدر ، وأحمد بدر

عند سفرها الى بلاد الانجليز

سيرا أيا بدرى سماء العلا واستقبلا التم ولا تأفلا

سيرا الى مهد العلوم التي كانت لنا ثم ازدهاها البلي

وخبرنا الغرب وأبناءه بأننا نحن الرجال الأولى

وهل في مصر مفخرة سوى الألقاب والرتب

وذى إرث يكثرنا بمال غير مكتسب

فقل للفاخرين أما لهذا الفخر من سبب

أرونى بينكم رجلاً ركيناً واضح الحسب

أرونى نصف مخترع أرونى ربع محتسب

أرونى نادياً حفلاً بأهل الفضل والأدب

وماذا في مدارسكم من التعليم والكتب

وماذا في مساجدكم من التبيان والخطب

وماذا في صحائفكم سوى التمويه والكذب

ولقد عاب علينا اعتبارنا للمظاهر ، وانخداعنا بالملابس :

إن قومي تروقه جدة الثوب ولا يعشقون غير الرواء

قيمة المرء عندهم بين ثوب باهر لونه وبين حذاء

وضعف الرجولة داء كمين في بعض المصريين كشف عنه

حافظ ، وأبان طوائف الناس بين مهلل مع المهللين لا يعرف له

غرضاً ، وبين ساع إلى دار المندوب البريطاني ، أو متردد على

أبواب الحكام

فهذا يلوز بقصر الأمير ويدعو إلى ظله الأرحب

وهذا يلوز بقصر السفير ويطنب في ورده الأعذب

وهذا يصيح مع الصائحين على غير قصد ولا مأرب

وداء آخر أشد فتكاً ، وأقوى بطشاً ، وهو الصحف التي

تطن طنين الذباب ، وما هي إلا حصائد ألسن تجر إلى الولايات

وأنها أيبست ما بيننا في الأخذ والرد ، فصحف ترى رأى المندوب

البريطاني ، وأخرى تعد هذا جرماً وإثماً كبيراً ، والوزارة من

وراء ذلك في رغد ونعيم

وصحف تطن طنين الذباب وأخرى تشن على الأقرب

وماذا في صحائفكم سوى التمويه والكذب

حصائد ألسن جرت إلى الولايات والحرب

وأرى الصحائف أيبست ما بيننا أخذاً ورداً

هذا يرى رأى العميد وذا يعدّ عليه عدداً

وأرى الوزارة تجتني من مرّ هذا العيش شهداً

ومصابنا الذي يفوق كل مصاب ، وداؤنا الذي يعلو على كل

داء ، هو تزلفنا لدار المندوب البريطاني وهو البعيد عنا لغة ،

يود لو هيا الله لمصر صلاحاً وللنيل سعادة . وقد وضع أمله بين يدي
الشباب ونابذة العصر ، ولاغرو فالشباب أقوى من يحمل الأمانة ،
ويؤدى الرسالة تحت إرشاد الشيوخ ، وموعظة الكهول .
يامصر هل بعد هذا اليأس متسع

يجرى الرجاء به فى كل مضطرب
لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا كأننا فيك لم نشهد ولم نقب
نبكى على بلد سال النضار به للوافدين وأهلوه على سغب
متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزاً من الذهب
ثم هو فى ندائه للشباب يضع آلام الوطن بين يديه ، ويشير
عواطفهم لحبه والأخلاص له ، بأسلوب أخذ بمجامع القلب
والنفس جميعاً .

وهو رحمه الله حين يأمل الخير للنيل وواديه ، ويرجو له أن
تحقق آماله وأمانيه ، وألا تحلو موارده إلا للمخلصين من بنيه ؛
تهيج به الآلام ، وتحرك كوامن غيظه ودفين حيرته

متى أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت جادت جفونى لها بالؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألم بها قرم تردد بين الموت والحرب
هذا حافظ الشاعر الوفى لأهله ووطنه ، والمخلص لشعبه
وأمة ، مر عامان على وفاته ، دون أن يذكره شعبه أو يحيى
ذكره ؟ لو لا أدبه الخالد الذى يأبى الركود ويعشق الحياة
قد أضعواك غير أن الذى أظن مهت من عبقرية لا يضيع
فرحمه الله وجزاه باخلاصه ، وعوضه عن نكران شعبه
حياة أدبه السيد احمد العجمان

لئن غدا الدهر بنا مدبراً لابد للمدبر أن يقبل
ويختم حافظ نصيحته بالوسيلة الأولى للنجاح والظفر ،
والتغلب على الصعاب ألا وهى العلم ، ويرى أن انشاء الكتائب
لا يغنى عن العلم الصحيح ، وأن ألف كتاب لا تعدل مدرسة
عالية ، أو جامعة منظمة تضم بين جنبها رجالاً أكفاء يتعهدون
الناس بالتعليم ، والمداواة ، والسهر على الأمن والأرواح ، والقضاء
فيهم ، والاشراف على موارد المياه وتصريفها ، ورصد الافلاك
والكواكب ، والبحث عن بقايا القدماء ، ومخلفات الآباء
بالحفر والتنقيب

ذر الكتائب منسبها بلا عدد ذر الرماد بعين الحاذق الأرب
فأنشأوا ألف كتاب وقد علموا أن المصاييح لا تغنى عن الشهب
هبو الأجير أو الحراث قد بلغا جد الكتابة فى صحف وفى كتب
من المداوى اذا ما علة عرضت ؟

من المدافع عن عرض وعن نشب ؟
ومن يروض مياه النيل ان جمحت
وأندرت مصر بالويلات والحرب ؟
ومن يوكل بالقسطاس بينكم ؟
حتى يرى الحق ذاحول وذا غلب

ومن يميّط ستار الجهل ان طمست معالم القصد بين الشك والريب
فما لكم أيها الأقوام جامعة ألا بجامعة موصولة السبب
٣ - رجاؤه فى تحقيق هذه الآمال : ثم إن حافظاً - رحمه
الله - كان عامر الفؤاد بالرجاء فى الإصلاح ، قوى الايمان بالتوفيق ،

هل شعرك يتساقط ؟ ..

إذا كان شعرك يتساقط فبادر باستعمال

زيت S. S. ١٠١

فانه يحفظ شعرك من السقوط وينميه ويقوى بصيلاته ويعطيه
لوناً طبيعياً ولمعاناً جميلاً :

ثمن الزجاجة عشرة قروش صاغاً خالصة أجرة البريد . ترسل
اذن أو طابع بريد برسم الوكيل الوحيد للقطر المصرى والسودان

ابراهيم ابراهيم شافعى

بوکالة أبو زيد بالسكة الجديدة بمصر

ه فوست المصرية ه

ظهرت حديثاً رواية :

ابريس

لمؤلفها محمد زكى صالح

تطلب من مكتبة الهلال وهندية وديمر
والمكاتب الشهيرة

محمد اقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

قدمت في الرسالة نبذاً من كتاب إقبال الذي سماه « أسرار خودي » فعرف القارىء رأى الشاعر فيما سماه « الذاتية » ورأى كيف ضرب مثلاً من الطائر الظآن وقطعة الماس ، ومن الفحم والماس .

وفي هذا المقال يرى القارىء كلمتين من الكتاب نفسه : الأولى قصة الشيخ والبرهمن ، ونهر الكنج وجبل هماله ، والثانية « الوقت سيف » . وإذا رأى القارىء غموضاً في بعض الجمل فمرجع هذا أن كثيراً من المعاني والعبارات غير مألوف في العربية ، وأن الشاعر الكبير يعرض آراء من فلسفته الخاصة ، لم تذلل لها اللغة التي كتب بها . وهو يشكو في كلامه عن الوقت من أن الألفاظ تضيق بالمعاني التي يحسها .

وكان أهون على أن أكتب في موضوعات أخرى هي أقرب إلى القراء ، لولا أنى أود أن أبين جهد الطاقة عن جوانب مجهولة من أدبنا الشرقى ، ولا سيما فلسفة شاعر الإسلام الأكبر محمد اقبال ويرى القارىء أنى أحاول بالسجع تدارك بعض مافات من الوزن والقافية .

- ١ -

« قصة الشيخ ، البرهمن ، وحديث كنكا وهماله في بيان أن حياة الأمة تستمر بالمحافظة على سننها »

كان في بنارس برهمن من الكبراء ، غواص في بحر الحياة والفناء . ملك زمام الحكمة ، وشحذ في الطلب الهمة ، متوقد الذهن ، يتحرى الدقائق ، ويحلق فوق الثريا في طلب الحقائق . أوغل في لوح الجو كالعنقاء ، واضطربت الشمس والقمر في شعلة فكره الوضاء . منى زماناً بالحرمان والحسرة ، لم تصب كأسه قطرة من الحكمة ، وألقى شبكته في رياض المعرفة ، فلم تر طائر المعنى عين الشبكة ، وأدى مخالب الفكر المجهود ، ولم يحل عقدة الوجود ، نطقت بعجزه آهاته ، وصورت حيرة قلبه قسماًته .

ذهب يوماً إلى شيخ عظيم ، ذى قلب سليم ، فأصغى الشيخ لحديثه حتى عرف مكنون صدره ، ثم قال : أيها الطائف في الأفلاك ! اتخذ في الأرض مشواك . اغتربت عن المرج والصحراء فجاز فكرك آفاق السماء . يطاوى السماء اسكن إلى الأرض قليلاً ، ودع حقائق النجوم حيناً . لا أقول لك اهجر أصنامك ، أنت كافر فكن جديراً بزنارك . يأميناً على التهذيب القديم ، لا تحقر دين آبائك الأولين . فان في الألفة حياة الأمة ، والكفر كذلك من أسباب الألفة . أنت ناقص حتى في الكفر ، فلست أهلاً للطواف في حرم القلب . لقد بعدنا عن جادة التسليم ، بعدت عن آذر وبعدت عن إبراهيم . قيسنا ليس هائماً بالمحمل ، وهو في جنون العشق لم يكمل^(١) ، ماجدوى الخيال الذى يطوى السماء ، إن كان شمع الذاتية إلى انطفاء .

قال نهر الكنج يوماً لجبل همالة وهو يجرى في سفحه : أيها المتوج بالبرد من فجر الخليقة ، والتخذ زناً من الأنهار الجارية . جعلك الله نجى السماء ، ولكن حرمك التبخر في العراء ، ماغناء هذا الوقار والرسوخ والرفعة ، وقد سلبت رجلك الحياة والحركة؟ الحياة سعى دائم كاللوج ، وجوده من الاضطراب المتصل .

فلما سمع الجبل تعبير النهر ، أرسل أنفاسه بجرأ من نار وقال : يا من اتخذت صفحته مرآتي ، وأكنت مئات من مثله في صدرى إن هذا التبخر زينة الفناء ، من ذهب عن نفسه فقد حرم البقاء ، قد غفلت عن مقامك ، ونفرت بهلاكك ، يا وليد الفلك الرفيع^(٢) ، خير منك الساحل الوضيع ، جعلت نفسك قربان المحيط ، وثرت جوهر روحك لقاطع الطريق ، كن ورداً في بستانك ، ولا تذهب وراء قاطف الورد لتنتثر عبيرك ، ان الحياة أن تنمو في مكانك ، وأن نقطف الورد من بستانك ، خلت القرون وأنا في طينتي ثابت القدم ، وتحسبني إلى الغاية لم أتقدم ، كلا قد عظمت حتى بلغت السماء ، واستراحت على سفحى الجوزاء ، وقد ضل وجودك في البحر الخضم ، وصارت ذروتي مسجداً الأنجم عيني بأسرار الفلك بصيرة ، وأذنى بطيرانه خبيرة ، احترقت بنار ، السعى الدائم ، فجمعت في صدرى الجواهر « في صدرى حجارة وفي الحجارة نار ، ليس للماء سبيل إلى هذه النار »^(٣) ان كنت

(١) إشارة إلى قصة مجنون ليلي

(٢) يعتقد الهنود أن الكنج يأتي من السماء

(٣) اقتباس من شعر مولانا جلال الدين الرومي

سر الضياء ، في القمر وذُكاه ، قد بسطت الوقت كاللحان ، ثم
فرقت بين الأمس والغد في الحسبان ، يامن جفلت كالشذى من
بستانك ، وبنيت سجنك بيدك ! إن وقتنا الذي لا أول له ولا
آخر ، ينبت من بستان الضمير الناضر ، الحياة من الدهر والدهر
من الحياة ، وقد قال الرسول لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله .
استمع نكتة تضيء كالدر ، لتعرف فرق ما بين العبد والحر :

العبد ضالّ في الليل والنهار ، والزمان في قلب الحرّ ضالّ . العبد
ينسج من الأيام كفته ، ويخيطن الليل والنهار على نفسه ، والحرّ
يخلع نفسه من الطين ، ثم ينسج على الزمان عزمه المتين . العبد طائر في
شبكة الصباح والمساء ، حرمت روحه لذة السبح في الهواء ، وصدر
الحرّ الهمام ، قفس لطائر الأيام ، فطرة العبد تحصيل الحاصل ،
وخواطره تكرار قاتل ، مقامه من الخمود واحد ، وصوته بالليل
والنهار راكد . والحرّ كل حين خلاق ، يسكب وتره نعمة مجددة
في الآفاق ، فطرته لا تحمل التكرار ، وليس طريقه حلقة البركار ،
العبد في سلاسل من أيامه ، والقضاء والقدر ورد لسانه . وهمة
الحرّ مشيرة على القضاء ، تصوّر يده الحادثات كما تشاء ، الماضي
والآتي مائلان لديه ، والآجل عاجل بين يديه .

هذا كلام برىء من الصوت والصدى ، يأبى على الإدراك
أبداً . أقول ولفظي من المعنى يخجل ، ومعناى من ذلك اللفظ
أجلّ ، يموت المعنى الحى في هذه الحروف الجامدة ، وتحمد ناره
بأنفاسك الباردة . ان في القلب نكتة الغيبة والحضور ، وإن
في القلب رمز الأيام والروور ، رمزهر الوقت ذو نعمة صامته ،
فغص في قلبك لتدرك أسراره الخافتة .

نضر الله عهداً كان سيف الزمان ، حليف أدينا على الحدان ،
فبذرنا الدين في أرض القلوب ، ورفعنا الحجاب عن وجه الحق
المحجوب ، وحلت عقدة الدنيا أناملنا ، ونضر وجه الأرض سجودنا ،
وشربنا الصهباء من دنّ الحق ، ثم سرنا بنشوة الحق بين الخلق ،
يامن أترعت كأسه الخمر المعتقة ، وأذابت كأسه الصهباء المحرقة ،
وملأه الكبر والغرور والأثرة ، فعيّرنا بالفقر والمثربة . لقد كانت
كأسنا كذلك ، زينة المحافل ، يوم كنا وصدورنا بالقلب آهل ، ونار
من غبار أقدامنا عصر جديد ، ينجلي بكل أمل بعيدور وبيت مزرعة
الحق بدمائنا ، وسعد عبّاد الحق بيلائنا ، ودوى العالم بتكبيرنا ،

[البقية في أسفل الصفحة التالية]

قطرة فلا ترق نفسك بيدك ، وجاهد اللجة وحارب اليم لحياتك ،
كن جوهرراً لألاء ، يزيد جيد الحسناء ضياء ، أو اسمُ بنفسك
وأسرع التسيار ، وكن سحاباً يرمى البروق ويمطر البحار ،
ليستجدى البحر احسانك ، ويشكو ضيقه بانعامك ، ويرى نفسه
أقل من موجة لديك ، وي طرح نفسه أمام قدميك .

— ٢ —

أتبع الشاعر الفصل السابق بفصل عنوانه « نصيحة أمير نجاة
النقشبندى المعروف بابا الصحرأوى ، التي كتبها لمسلمى الهند »
وهو فصل ممتع بلغ فيه الكاتب من سمو الشعر ، وعظمة
النفس مبلغه . ثم أتبعه بكلمة عنوانها « الوقت سيف » وهذه
ترجمتها : -

سقى الله ثرى الشافى ، كما استقى الناس من فيضه ، لقد
اقتطف فكره كوكبا من السماء ، حين سعى الوقت سيفاً ذامضاً ،
ماذا أقول في سر هذا السيف الذى يفيض بالحياة مأوه ؟ ان صاحبه
فوق الخوف والرجاء ، ويده أنصع من يد الكليم البيضاء ، يلين
الحجر لضربته ، ويبيس البحر لهيبته ، كان هذا السيف فى يد
موسى فعلا أمره على التدبير ، شق صدر بحر القلزم ، فانقلب برّاً
ذلك العيلم ، وكان فى كف حيدر فاتح خيبر ، ذلك السيف
العظيم الأثر .

إن البصير يرى دوران السماء ، ويدرك تقلب الليل والنهار فى
الفضاء ، انظر يا أسير الأمس والغد ، تر فى قلبك عالماً لا يجد ،
زرعت بذور الظلام فى طينتك ، وتوهمت الوقت خطأً بجهلك ،
ثم قست طول الزمان بعميار الليل والنهار ، واتخذت هذا الخيط
زناراً ، فملت الى الأصنام واتخذت الباطل متجراً ، كنت كيميائ
فانقلبت قبضة طين ، وولدت الحق ثم صرت الباطل المهين .

إن تكن مسالماً فتحرر من هذا الزنار ، وكن شمعاً فى محافل
الأحرار . لقد جهلت أصل الزمان فجهلت الحياة الخالدة ، يا أسيراً
فى الليل والنهار مثواه ، تعرف رمز الوقت من « لى مع الله » (١)
كل شىء من سير الوقت ظاهر ، والحياة سر من أسرار الوقت
الباهر ، ليس الوقت من دوران الشمس العلية ، هو أبدى وهى
ليست أبدية ، الوقت هو السرور والغم ، والعيد والمأتم ، وهو

(١) اشارة الى الحديث الذى يرويه الصوفية « لى مع الله وقت لا يسعنى
فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب » .

العلوم

أصل الأرض وماهية تكوينها

بقلم نعيم على راغب

كوكباً صغيراً سياراً بين المريخ والمشتري ، وكذلك التتابع Satelites وهي أجرام سماوية صغيرة تدور حول الكواكب السيارة (كالقمر بالنسبة الى الأرض) ؛ هذا غير عدد لا يحصى من أجرام سماوية صغيرة اسمها الشهب Meteors تدور على غير هدى .

ونحن اذا رجعنا الآن الى تكوين الأرض من هذه المجموعة ، وجدنا أن الآراء متفقة على أنها كانت قبل انفصالها عبارة عن كتلة واحدة متماسكة ، ثم انفصلت الى أجزاء صغيرة كانت الأرض أحدها . واليك بيان ذلك :

كانت المجموعة الشمسية في البداية سديما ، (وهو جسم يُرى بالعين المجردة كأنه سحابة بيضاء ، ولكنه في الحقيقة جسم غازي شديد الحرارة جداً ، له مركز أشد صلابة ولعناً من باقي جسمه ، وهو ببيضاوي الشكل) ، انخفضت درجة حرارته بعامل من العوامل فانفصلت أطرافه على شكل حلقات دائرية ، واستمرت بعد عملية الانفصال تدور حوله في نفس الاتجاه الذي كان يدور فيه ، فتكونت من هذه الحلقات الكواكب السيارة ، وكان أولها في التكوين أبعدا عن الشمس ، وهو نبتون الواقع على طرف المجموعة الشمسية ؛ وكان آخرها أقربها اليها وهو عطارد . وتعرف هذه النظرية بالنظرية السديمية Nebular Theory ، وهي النظرية التي قال بها العالم الفرنسي الشهير Laplas في أواخر القرن الثامن عشر .

حار العلماء في تفسير منشأ حرارة السديم ولم يتمكنوا من إيجاد تعليل معقول يستسيغه العقل فسكتوا على مضض حتى تقدم سير نورمان لوكيار Sir Norman Lockyer بنظرية الشهب Meteoric وخلاصتها أن النيازك العديدة التي تسبح في الفضاء إذا ما تقاربت نشأ عن اتحادها واحتكاكها درجة حرارة تبدأ

اختلفت الآراء وتضاربت ، ثم كثر الحدس والتخمين في أصل الأرض من قديم الزمان ، واستمر الحال كذلك الى أن جاء القرن التاسع عشر يحمل معه مخترعات جلييلة الشأن ، عظيمة الفائدة ، نخص منها بالذكر المنظار المقرب أو التلسكوب ، ثم آلات تحليل الطيف الضوئي ، فأمكن تكوين رأي لا يزال حتى الآن غير محكم عن أصل تكوين الأرض .

وخلاصة المأخوذ به حتى الآن هو أن الأرض التي نعيش عليها جزء من المجموعة الشمسية التي تتركب من عدة أجرام سماوية تتوسطها الشمس ، وهي ثمانية كواكب سيارة Planets مرتبة حسب قربها من الشمس : (عطارد . الزهرة . الأرض . المريخ . المشتري . زحل . أورانوس . نبتون) . كذلك من ٦٣٥

وعمرت كعبات من ترابنا . وأنزل الحق كلمة « اقرأ » فينا ، ثم قسم رزقه بأيدينا . فان يكن ذهب منا الخاتم والتاج ، فلا تحقر ذلك الفقير المحتاج . ان نكن بزعمك مفسدين ، وبالأفكار العتيقة مغرمين . فنحن لا نزال الأحرار أنصار التوحيد ، قوامين على العالمين والله شهيد .

فرغنا من غم اليوم والغد ، وحالفنا الله الأحد ، فنحن في قلب الحق سر مكنون ، ونحن ورثة محمد وموسى وهارون ، لا يزال نورنا في الشمس والقمر مصونا ، ولا يزال سحابنا بالبرق مشحوناً

إن ذات المسلم مرآة الحق ، وإن وجود المسلم من آيات الحق .

عبد الوهاب عزام

أن الأرض والشمس جزءان من سديم واحد أو كتلة واحدة وليست جزءاً من كل بالنسبة للثانية .

باطن الأرض :

كانت الأرض كما قلنا جزءاً من السديم الشمسي وكانت حرارتها في البداية شديدة جداً ثم انخفضت وأخذت في القلة تدريجاً بفعل الاشعاع فبردت قشرتها الظاهرية شيئاً فشيئاً حتى وصلت لحالة الصلابة ، ثم تجعدت هذه القشرة تبعاً لبرودة الأجزاء الباطنية وأخذت في التقلص فتكونت فيها منخفضات ملائها الأبخرة المتكاثفة (الماء) وأخذت معالم الحياة تظهر شيئاً فشيئاً وكان آخر هذه المعالم هو الانسان . إلا أن باطن الأرض ظل مرتفع الحرارة . تدل على ذلك ظواهر طبيعية عديدة :

١ - تزيد درجة الحرارة بمعدل درجة واحدة فهرنهايت لكل عمق مقداره ٥٦ قدماً

٢ - سخونة المياه التي تخرج من الينابيع الساخنة . وقد وجد أن درجة حرارة الماء الخارج من نافورات ايسلنده ٢٦١ ف

٣ - خروج المواد منصهرة من البراكين .

ولقد أُنارت الظاهرة الأولى اهتمام العلماء وكانت سبباً في اختلافات كثيرة وقعت بينهم في القرن التاسع عشر ، لأنه إذا كانت زيادة درجة واحدة فهرنهايت لكل ٥٦ قدماً بعد الخمسين قدماً الأولى صحيحاً واستمرت هذه الزيادة باطراد لوجب أن تكون حرارة الباطن ١٥٠٠ درجة حرارة مئوية على عمق ٢٨ ميلاً أو على عمق $\frac{1}{3}$ من نصف قطر الأرض . وهذه الدرجة تدوب عندها أشد العناصر صلابة . فوجب على هذه الحال أن يكون سمك القشرة الأرضية Hot Geysers الصغرى غاية ٢٨ ميلاً وفيما يلي ذلك يكون الباطن منصهراً .

غير أنه ثبت في القرن الحالى أن باطن الأرض صلب ، وأن الأرض تتكون من طبقتين متميزتين عن بعضهما :

الأولى : طبقة سطحية تتكون من صخور قليلة الكثافة يطلق عليها اسم Lithosphere

قليلة المقدار لكنها تزداد كلما ازداد مقدار تقاربها من بعضها بفعل الجاذبية نحو المركز ، وهكذا إلى أن تصل إلى حد تتحول معه النيازك إلى مادة غازية Gassic . ثم يأتي وقت بعد ذلك تزيد فيه الحرارة المتشعة من الشهب عن الحرارة الناشئة من الاحتكاك فتتكاثر هذه الغازات ثانية . وتأخذ درجة حرارة السديم في الانخفاض تبعاً لذلك . وتكون أبعد الأماكن عن المركز أولها في هذه العملية . ومن هنا نعلم أن أبعد السيارات عن مركز المجموعة أقدمها في التكوين كما سبق ذكره .

استمرت النظرية السديمية مأخوذاً بها طول القرن التاسع عشر غير أنه كان فيها بعض نقط غامضة احتاجت إلى إيضاح كثير : من ذلك مثلاً أن هذه النيازك التي قيل إنها تكون السديم صغيرة الحجم إلى حد كبير تسير في الفضاء على غير هدى وبسرعة عظيمة . ومن الصعوبة أن نتصور القوة الجبارة التي سببت اتحادها بعضها ببعض . وبغير هذه القوة لا يمكن بأي حال من الأحوال تفسير النظرية السديمية . ومن الاعتراضات الأخرى التي قامت في وجه هذه النظرية حقيقة جغرافية ثابتة ، وهي أن توابع كل من أورانوس ونبتون تدور حولهما من الشرق إلى الغرب على عكس باقى اجزاء المجموعة الشمسية .

وقد تقدم في القرن العشرين بعض علماء الانجليز والأمريكان بنظرية عن أصل تكوين الأرض تعرف بنظرية المد Tide Theory خلاصتها أن تكون الكواكب السيارة وغيرها من المجموعة الشمسية قد نشأ عن اقتراب نجم كبير من سديم الشمس في أوقات مختلفة . فنشأ عن اقترابه أن جذب اليه جزءاً من كتلة السديم انفصل منه بقوة هذه الجاذبية .

ولا تختلف النظرية الأخيرة وهي نظرية المد عن النظرية السديمية في شئ إلا في تعليل انفصال الحلقات المكونة للمجموعة الشمسية عن جسم السديم الأصلي .

وهناك اختلاف يبين قولنا هذا وبين من يقول إن الأرض أصلها جزء من الشمس لأن القول الأخير غير صحيح إذ

الحالية من هذا النشاط . يثبت لنا من ذلك أن باطن الأرض يتكون من مادة حديدية عظيمة الكثافة ، وهذا يتفق مع النظرية الشهية التي قال بها السير نورمان لو كيار . كما يتفق مع الحقيقة الثابتة في النقطة الثالثة .

انتهينا الآن من ماهية باطن الأرض ، وسنبحث في مقال آخر في ظواهر حرارة باطن الأرض ، فنتكلم عن البراكين وظواهرها وأسبابها . ثم نبين التضارب الحادث في تعريفها جغرافياً ، والتغليب العامي في شرح ظواهرها وأسبابها ما

نعيم على راعب

دبلوم المعلمين العليا قسم الجغرافيا

بنك مصر

تشجيعاً لحضرات المودعين بصندوق التوفير الذين يرغبون في الاككتاب في سندات شركة مصر للغزل والنسيج وتمنعهم شروط الايداع من ذلك ، وخوفاً من أن يغطي المبلغ المطلوب دون أن يتمكنوا من الاككتاب فيضيع عليهم الفرق بين سعر فائدة صندوق التوفير وفائدة السندات ، يعلن بنك مصر أنه يرفع هذه القيود عن من يرغب منهم في الاككتاب بكل أو بعض المبلغ المودع منه في صندوق التوفير

الثانية : طبقة معدنية عظيمة الكثافة تسمى Baryspher وأن الطبقة السطحية تحتوى بالقرب من الظواهرات على جيوب مملوءة بالمواد المنصهرة ، وهي ما تعرف بالحم Magma ومنها تفيض البراكين عند ثورانها . وهناك أدلة تثبت أن باطن الأرض أصلب منها : (١) كلما تعمقنا في باطن الأرض زاد الضغط بنسبة العمق الذي نصل اليه ، ومعنى ذلك أن الطبقات على عمق ١٠٠ متر مثلاً تقع تحت ضغط يساوى عمود الهواء وثقل الطبقات التي تعلوها . ولذا فإن المواد التي توجد على هذا العمق تحتاج الى درجة حرارة أكثر بكثير من الدرجة التي تنصهر عندها نفس المواد اذا ما وجدت على سطح الأرض .

(٢) لما كانت كثافة الأرض ٥٫٦ وكثافة السطح الخارجى

٢٫٥ وجب أن تكون كثافة الباطن أعلى من ذلك بكثير حتى يكون الناتج ٥٫٦

(٣) تزيد سرعة الموجة الزلزالية عند مرورها في باطن الأرض عنها على السطح ، فقد لوحظ أنه بينما تسير الموجة بسرعة ١٫٨٦ ميلاً في الثانية على السطح ، فإنها تسير بسرعة ٥٫٠٥ أميال في الثانية في باطن الأرض .

(٤) لو كان باطن الأرض سائلاً لوجب أن يتأثر بالمد والجزر ، فيظهر ارتفاع في القشرة الأرضية من جهة المد ، وانخفاض في الجهة الأخرى .

(٥) قد ثبت أن النشاط الراديوى Radio Activity محصور في دائرة ضيقة غاية قطرها ٤٥ ميلاً من السطح الخارجى . ولو كانت الصخور التي دون هذا العمق ، تحتوى على راديوى لازدادت كمية النشاط الراديوى . ولما كانت المواد الحديدية التركيب من المواد القليلة

القصص

من التاريخ

ذكرى زينب

بقلم مهدي الجمل الطرابلسي

أقبلت عليه متهادية ، تحمل أذيالها الجوارى السود ، وجلست
قربه وقالت بصوتها العذب : عم صباحاً أيها الأمير . فقال :
عمى صباحاً أيها الأميرة . قالت : مالي أراك طويل التأمل ،
عميق التفكير ، مؤرق الليل ، محزون النهار ؟ قال : آه يا زينب !
كيف لا يأرق العربي ويموت أرقاً ، ويحزن ويذوب حزناً ، إذا
استلب الكرامة ، وفقد الحرية ؟

حنانك يا زينب ! إني أكاد أموت هما وكدا ! إني أريد
أن أستقل استقلالاً تاماً ! إني أريد أن أملك زمام المشرق والمغرب !
إلى متى أنا خاضع للروم ؟ إني أخاف هؤلاء اللثام يا زينب ،
وأرهب غدرهم ، فهم لا يراعون ذمة ، ولا يوفون عهداً ، ولا
يصدقون قولاً . إني أشفق أن يمر بنا حين نذل فيه ، ونساق
للحوان والصغار سوق الابل !

إن الحرية يا زينب لا تُنال بمعاهدة ولا مفاوضة ، بل تنال
بالدم ، والدم وحده . ونحن لا جيش لنا ولا عدة ، فمن أين نأتي
بالدم ؟ أبالشجاعة وحدها ؟

أفديك يا زينب ! اهْدِنِي بنور وجهك المشرق ، وحبك
إلي ، وإخلاصك لي سبيل الحرية !

فقلت حيت أيها الأمير ! هي جيشك ، وحالف سابور
ذا الأكتاف ملك الفرس ، ولأسر معك نحارب الروم ولا نرجع
إلا ظافرين أو مقتولين . فللموت في سبيل الحرية خير ما يتصف
به العربي ! !

عاد أمير تدمر بعد أيام وقال لزينب : لقد سار ملك الروم
بجيش جرار على سابور ملك الفرس ، وخفت أن يظفر به ،
فصالحته من بعد ما اتفقت مع سابور عليه . إلا أن الفرس هزموا
جمع الروم ، وأسروا مليكهم ، فأشفقت كثيراً أن يسير سابور
إينا يطلب الوتر ، وما أحسبه إلا قاضياً علينا القضاء الأخير !

ولقد أرسلت إليه رسول الاعتذار ، وكتاب الوفاء ، وإعلان
السلام ، وهدية المحبة والاخلاص ، فعنا اللثيم عتواً كبيراً ،
فأهان الرسول ، ومزق الكتاب ، ورفض السلام ، ورمى بالهدية ،
وتهددني أمام الوفد الذي أرسلته إليه ، ثم طرده من مجلسه ،
وأخشى أن يحقق وعيده ! فهبت زينب تقول : الساعة يلتئم
المجلس الحربي ، والساعة يعلن الحرب على العليج ، والعداء على
لثيم اللثيم . . .

وفي تلك الساعة التأم المجلس الحربي التدمري ، وبدا
من القيادة أنهم يترددون في اعلان الحرب ، لأنهم يعلمون أن
سابور ملك عظيم ، تتصدع له الجبال خشية . وانهم لفي ترددهم
إذا زينب تبدو على المنبر مثلثة ، ثم تخطب خطاباً بليغاً ، تحرك
به العواطف ، وتلهب القلوب ، وتهيج النفوس ، وتهتف قائلة :
العربي لا يرضى بالذل والهوان ، وانما يرضى بهما الفرس والرومان ،
فهو للعزيموت ، وهما للذل يحيمان .

وبعد أيام تكون الجيوش العربية في طريقها الى الفرس ،
يتقدمها أمير تدمر (أذينة) وأميرة تدمر (زينب) الزباء .

تلاقى الجمعان ، وكانت جولتان ، ثم انهزم الفرس ، وسبي
أذينة من قصور سابور الحور والولدان ، وأسر الأحرار والعبدان .
وأتى بسابور ترهق نفسه ذلة ، ووجهه قفرة ، فاعتذر واسترحم ،
وذل واستكان ، ودفع الجزية عن يديه صاعراً ، وأضحت تدمر جنة
البادية بما نقل إليها من بلاد فارس .

من الحب بأقل مما تضرر له ، ولطالما اجتمعا وتشاكيا الهوى والجوى . إلا أن سولثا فارقتها إلى روما ليفي عهد الرسالة ، ومي تعذبت لفراقه كثيراً ؛ وحنّت إليه حنيناً ، وبكت حتى كادت تتلف . وعلمت أمها بأمرها فعذرتها في نفسها ، لأنها تعرف الحب ودلائله وأفعاله ، وجنونه وفنونه . إلا أن الذي ألمها أن الروم أعداؤها وسيحاربونها ، وما سولثا إلا رجل من رجالهم ، بل قائد من قوادهم ، فاذا خان وطنه في سبيل حبه استصغرت ولم ترض أن تصهر إليه ، وإن لم يخن فابنتها مائة غراماً مافي ذلك شك .

ولقد أقبلت عليها ذات يوم فقالت لها : أي مي ! أي ابنتي العزيزة ! لقد وكلت إليك ملك تدمر إلى حين ، لما أعهد من حزمك ودرايتك ، وأما أنا فذاهبة لأحارب الروم وأموت ، أو أملك ما بين المشرق والمغرب . فتوكلت مي راضية مسرورة . إلا أنها بكت لفراق أمها كثيراً ، وتجمست لفراق سولثا وتصبرت فما ازدادت إلا حزناً ولوعة .

انقضى شهر ، ثم أتى البشير يعلن انتصار مليكته على الروم ، وأنها أسرت كثيراً من قادة الجيش وضباطه ، فأمرت مي بسوق الأسرى إلى تدمر ، وفي تدمر أطلت عليهم من الطاق ، فرأت بينهم الأمير سولثا ، ففرحت كثيراً واندفعت اليهم ، وحيثهم ، ودعتهم إلى قصرها ، وأكرمتهم كثيراً ، لأن سولثا بينهم ، لا لأنهم قادة ، ولا لأنهم من الروم . وهؤلاء أعجبوا بها وبحنكها وأخلاقها كثيراً ، وأول من أعجب بها سولثا . وبعد حين أقبلت زينب فارسة كميّاً ، فزغردت النساء ، وهزجت الأطفال ، وغردت طيور الأمانى . وما انتهت إلى قصرها حتى سرّحت الأسرى ، فأعظم الناس كرم خلقها ، وهتف العرب والروم وكثير من الفُرس : مرحى زينب الزباء ! مرحى ملكة العرب !

لم تقنع زينب باستقلالها التام ، بل أرسلت جيشها فغزا ساحل البحر الأبيض الأسيوى كله ، وأعدت جيشاً آخر لغزو النيل ، وفتح مصر ، فجعلت تدمر ملكية عظيمة يخشى بأسها القياصرة والأكاسرة . وملك الفرس الجديد « بهزاد » عقد معها معاهدة ليجعل منها ملاذاً وحياً ، وخطب ميّاً من زينب ،

امتلأت نفس أذينة بنشوة الانتصار ، فعلم أن بعض الروم عصوا ملكهم وثاروا عليه ، فسار اليهم ورد عصيانهم إياه طاعة ، وثورتهم عليه استكانة ، وعاد مع زينب إلى قاعدته بين هتاف ودعاء ، وما انقضت أيام حتى أتى وفد ملك الروم (جاليا نوس) يرأسه الأمير (سولثا) ، ومثل بين يدي الملك العربي والملكة وشكرها باسم الملك والامبراطورية الرومانية ، وقدم اليهما ولاءها وصدقها . انفتحت أمام أذينة مدارج الآمال ، وأمل السيادة التامة ، والحكم المطلق ، فكتب إلى جاليان يسأله إياها وأشياء أخرى تضر بملكه ، فحنق ملك الروم وغضب وأرسل قائده (أورل) بجيش ليحرق تدمر ويخربها ، ويزيل هذه العقبة الكأداء من طريق مطامعه في الشرق . فانهز الفرصة سابور فزحف بجيشه إلى حاضرة البادية يريد الانتقام ، وكان في حمص ابن أخ لاذينة يقب بالمعنى ، وكان يحسد عمه ، ويريد سريره ، فلما رأى تآلب الأمتين عليه قال حان حينه . اقتله وألبس تاجه ، وأرث عرشه .

فأما سابور فهزمته زينب بشجاعتها وبسالتها . وأما الروم فلم يبدأوا الحرب بعد . وأما المعنى فاستأذن أذينة ، ودخل عليه بوفد من أتباعه وأنصاره ، فلما اشتد الهجير ، وهدأ القصر ، اغتاله وأعلن نفسه ملكاً على تدمر .

هاجت زينب هياجاً شديداً ، وهتفت بقوادها المخلصين إلى الانتقام ، وأهابت بشعبها إلى الثورة ، وسارت بالجيوش إلى حمص ، ثم حاربت المعنى حروباً كثيرة ، وصاولته بنفسها ، وأخيراً أسرته ، وحكمت عليه وعلى من ساعده ولاذ به بالصلب والفصد ، وقالت هذا أقل ما يعاقب به خائن الوطن ، وهكذا استأثرت بسرير تدمر وحدها ، وما أجدر زينب بسرير تدمر ، وما أليق زينب لأعظم من مثله .

كانت مي جميلة رائعة الجمال ، حسناء بارعة الحسن ، وكانت مي ونية كريمة شجاعة صبوراً ، وكيف لا تكون كذلك وهي الابنة البكر لزينب ملكة العرب ؟ وكان سولثا رئيس الوفد أميراً جميلاً فتاناً كريماً ، اعتلقت به مي اعتلاقاً شديداً ، وشغفت به كثيراً ، ولم يكن ما يضر لها

المصريين ، وجعل العلم العربي يخفق على ربوع النيل .

ما زال الروم يسألون زينب أن تعترف بسلاطنتهم عليها ، وأن تدفع لهم جزية الانتداب ، وما زالت زينب على شتمها وإبائها ، لا تعترف لهم بشيء . وأرسل إليها أورل ذات مرة يقول ، تعترفين بسلاطنتنا عليك ، وتدفعين الجزية ، أو أحاربك وأخلك ، وأصلبك ، وأسبي ابنتك ، وأتوج على سريرك زيد بن المعنى . فثارت زينب ثورتها ، وغضبت غضبتها ، وجمعت المجلس . وقالت الى الحرب أيها الأبطال ، الى الانتقام أيها الرجال ! إن تدمر العربية لا تستكين أبداً لتطاول الروم أو البربر

وهكذا اضطرت الحرب ، ورحل الروم المقيمون في تدمر الى وطنهم ، بينهم الأمير سولثا . ولاقت زينب جيش الروم ورأت أن زيد بن المعنى تحت لوأهم ، فقالت الويل له من عاقبة كعاقبة أبيه ، وحاربت وناضت كثيراً ، وشجعت القادة ، وتقدمتهم الى الموت .

غلب الروم ، وانهمزم جمعهم ، فتبعهم زينب تريد التنكيل بهم والقضاء عليهم ، فما أحست إلا وفرسان جيشها في مستنقعات (السوَّيق) يغالبون الموت والموت يغالبهم ، وما أحست إلا والروم قد طوّق المشاة من جيشها ، واعمل فيهم السيوف ، فجزعت كثيراً ، وخطبت في سائر جنودها الخطب الحماسية ، فما أفادت ، وما زالت عددها تنفذ ، وعددها يقل حتى أوشكت على الهلاك فاستجدت ملك الفرس قال مي ابنتك وأعنيك . فما رأت بدأ من التراجع فتراجعت ودخلت تدمر محزونة مكتئبة ، وأغلقت الأسوار .

بينما كانت زينب تحارب الروم جوار (انطاكية) كانت مي ابنتها ترسل اليها العدد ، وتدير أمر الملكة ، وأقبل عليها ذات يوم رسول وقال لقد وجدنا الأمير سولثا يا سيدتي قتيلاً في سهول حماه . فقالت في نفسها اذن اهلك معه . وأمرت خادماً لها أن يأتيها بشعبان تتعلم امساكه . ففعل . نخلت بالشعبان وقربت الناب القاتل من الشدى الزاهي وهتفت قائلة : نفسي فداء الأمير سولثا ، وما كاد الناب يفرز في الشدى حتى هتفت وقالت : لا لا .

فأقبلت هذه على ابنتها ، وقالت بشر الكي خطبك بهزاد ملك الفرس ، فاعترفت لها مي بجها سولثا وغرامها به . ولكن زينب تريد أن تزوجها بهزاد لتأمن شره ، فقد يكون له شر . فدعت سولثا اليها وقالت . أهكذا أيها الأمير تسيء الى من أحسن اليك ؟ قال ما كان لي ذلك أيها الملكة العظيمة ! قالت نعمي الى أنك جاسوس لقائدك «أورل» . قال اسمحي لي أيها الملكة أن أقول لك ، إن مثلي أرفع من أن يكون جاسوساً . اني لا أخفي أني صديق «أورل» ، وصديق ملكي ، وصديق الروم كلهم ، كما أني أعترف أني صديق مخلص اليك ، والى ابنتك . فوجت زينب وقالت أيها الأمير ! لقد وجدتك قائداً شجاعاً ، ووطنياً مخلصاً ، وصديقاً لي أميناً . وسأجعلك القائد الثاني للجيش الذي سأسيره الى مصر ، فحارب وعُد الى ظافراً منتصراً . فقال سأكون إياه ، وكان إياه .

إلا أن ميأ خافت أن يُقتل في هذه الحرب . وعلمت أن أمها لم ترسله إلا لتنجو منه .

وبعد شهور أقبل فارس يقول . إن الجيش العربي قد انتصر ، وعاد الى المعسكر غانماً ، غير أن أمراً أحزن الجيش كله ، فهو أن الأمير سولثا الذي ناضل كثيراً ، وكان سبب النصر والفوز الأكبر ، اختفى بفته .

ما وصل الخبر الى مي حتى صاحت قائلة : آه إني حيلة مدبرة ! إن سولثا قد قُتِل . ثم انزوت في حجرتها ، وأنشأت تبكي وتنتحب . ولبثت على حالها أياماً ، لا تأكل ولا تتكلم ، حتى وهنت ووقعت في سرير المرض . فعالجها الطبيب فشفيت ، إلا أن وجهها الناضر الزاهي أخفى شاحباً حائلاً ، لا رونق فيه ولا حياة .

أقبل رسول بعد ذلك يقول إن الأمير سولثا حي ، وهو يحارب المصريين بعيداً عن المعسكر . فطار لب مي فرحاً ، وكادت تهوى على يدي الرسول تلثمهما شكراً ، لكنها خلعت عليه خلعة ، ووصلته بالمال والحلى .

عاد القائد العربي «زيدا» بعد أيام يرافقه الأمير سولثا فاستأذنا على زينب ، ومثلاً بين يديها فقال «زيدا» أيها الملكة العظيمة ، إن الأمير سولثا بطل يجب أن يُفتخر بمثله ، فهو هو الذي هزم

بالجلاد قائلاً: رويدك أيها العليج . ويتقدم الى أورل ، ويركع عند قدميه ، ويقول : أنا صديقك سولقا أناشدك الصداقة التي بيننا أن تعفو عن زينب ! إنها بطلة يا سيدي ! إنها لم تحاربك إلا دفاعاً عن حريتها واستقلالها وكرامتها ، فلا تلتطخ جبين الدولة الرومانية الناصع بقتل البطلات اللاتي يضحين أنفسهن في سبيل الحرية والكرامة والاستقلال ! ! فصرخت زينب قائلة : لا ، لا ، الموت أعذب لي من الحياة بعد الآن ! إن العربية لا تعرف الحياة إلا بالعز ، ولن تعرفها إلا به أبداً ! !

عفا أورل عن زينب وابنتها وأمر بنقلهما معظمتين الى قصره . وتقدم الأمير سولقا يوماً من مي يخطبها فقالت : أنا لا أخفي عليك أيها الأمير . أني أحبك كثيراً ، ولكن لا أقدر أن ألبى طلبك إلا حين أبعث ، وأنا اليوم ميتة ! إن العربيات اللاتي دوخن الفرس والروم ، وخطقت رايات نصرهن في لبنان وربوع النيل ، لا يرضين التزوج بالروم ، ولا يعرفن الحياة والحب إلا مع العز والكرامة والحرية (١) . . .

مهري الخيم الطرابلسي

حماء

(١) لم يعرف التاريخ قط امرأة تشبه زينب بعفتها ، وفضلها ، وكرمها ، وشجاعتها ، وحزمها ، وإدارتها ، وصدقها ، ووفائها . ويمكن ن تقول إن زينب المثل الأعلى للمرأة السكاملة — بالنسبة للعصر الذي وجدت فيه — بل لأعظم من السكاملة . ومثل الشعار الذي اتخذته زينب لها يجب أن يتخذ سائر نساء العرب شعارهن ! إن زينب فريدة عصرها بل فريدة عصور غيرها . نعم إن هنالك الفتاة الفرنسية جان دارك ، لكنها لا يمكن أن تقاس بزينب على حال ، لأنها لم تبلغ ما بلغت . والذي يؤسف له أن الفرنسيين يقيمون لجانداركهم عيداً كل عام . ونحن العرب إذا ذكرنا زينبنا يوماً فإنا نذكر أسطورة بالية ، وخرافة قديمة ! ؟

نفسى فداء الوطن . ورمت الثعبان من النافذة . وإنما لتفعل إذا رسول بالباب يقول سيدتي هذه خوذة الأمير سولقا يرسلها اليك وهو جريح نعالجه وسيشفى عن قريب ، فقالت : وافرحته ! ووصلت الرسول بما يستحقه .

حاصر أورل بجيشه تدمر ، وطال الحصار فمُلّ ، ونفدت مؤن المدينة ، وتضاغى الناس جوعاً ، فجمعت زينب المجلس الحربي ، فلقبها القادة باكين ، فقالت لم البكاء أيها الأبطال ؟ إما الموت ، وإما الحياة !

وصعدت ابنتها مي المنبر وقالت إن حفيذة السميذع ميماً لتضحى بنفسها فداء الوطن .

أخرج بكم أيها الأبطال ، من السرداب الخفي الذي يصل تدمر بنهر الفرات . ثم أسير الى ملك الفرس وأعلن له قبول خطبته إياي ، ثم رجع بجيش وعدة من عنده ، فنكر على الروم ، ونزقهم شر ممزق !

فأكبرت زينب إخلاص ابنتها ، وتفاديها وتضحية جها في سبيل الواجب ، وأكبر القواد إخلاص أميرتهم وشجاعتهما في تلك الساعة قال زيد بن المعنى لأورل قائد الروم : إن بين الفرات ياسيدي وبين المدينة سرداباً خفياً ، ترسل منه زينب رسولها الى بهزاد ، ليدها بالرجال والزاد ، قال اذن الليلة تمسكون الرسول ، وتفتحون الأبواب ، وتدخلون المدينة ، وتدكون القصر دكاً دكاً وتثلون العرش ثلاثاً ثلاثاً !

وما غشى الليل واختلط ، حتى كانت مي متقلدة حمائل سيفها تتقدم القواد في السرداب ، وتشجعهم . وما أطلت حتى كان زيد يطوقها بجنده ، فأهابت به قائلة الويل لك أيها الخائن ، وأقامت تحارب وتناضل ما تقدر أن تفعل ، وودت لو تقتل ولا تؤسر ، إلا أن أورل أقبل بجيشه فأسرها ، وفتح المدينة ، وأسر زينب ، ولكن لم يثل العرش ثلاثاً ، وإنما توج على سرير تدمر زيدا الخائن .

سيقت زينب وابنتها والقواد الى منزل الذل والهوان ، وحكم أورل على زينب بالصلب ، وفي الساعة التي كادوا ينفذون بها الحكم ، كان قائد جميل روماني يدفع الجموع بمنكبيه ، ويهب

وظائف خالية

(شركة مصر للإعلانات وتوزيع الصحف)

في حاجة الى شبان متعلمين بالقطر المصري والسودان ترسل الطلبات برسم مدير الشركة (محمود عزت المفتي)

بميدان عابدين رقم ٢٦ مصر

يرسل مع كل طلب طوابع بوسته بمبلغ قرش صاغ للرد



شخصية أبي شادى

في ديوان «الينبوع»

بقلم الأديب حسن كامل الصيرفي

يمرّ صدى المطرب أمام جهاز «الراديو» فيطوف في الأثير بين رياح عاصفة ونسمة هادئة، ويمتزج في ضجيج الحياة وجلبتها ويفرق في صمت البوادي والقفار، حتى يتلقاه جهاز الاستلام فاذا الصوت ناطق بشخصية صاحبه.. كذلك يمر ذهن الشاعر بمحيط الحياة، يسمو إلى الأفلاك فلا يسمع منه أهل الأرض إلا همسات ونجوى يستشعرون فيها حناناً وراحة، ويهبط منها إلى صخب الحياة فيحاول أن يلفظ من حدة ذلك الصخب بأنغام قيثارته، ولكن جمود الحياة يستثيره فيترك القيثارة لحظات تراه فيها صاحباً نائراً متمملاً، وهو بين سموه عن الحياة وبين اندماجه فيها محتفظ بشخصيته

وهناك شعراء يفقدون شخصياتهم في جولاتهم الواحد منهم كالمهرج عليه رقع ليس بين ألوانها وحدة وتناسب. فالاحتفاظ بالشخصية يرجع إلى مؤهلات الشاعر الفنية، فالأول يطوف ويقف ويخلق ويهبط، وهو ينظر إلى العالم كما ينظر المصور إلى اللوحة التي يخط عليها بريشته عارفاً حدودها. أما الآخرون فيسيرون في طريقهم على غير هدى لم يرسوا لأنفسهم غاية.

وبمقدار احتفاظ الشاعر بشخصيته تكون قوته أو ضعفه، فلننظر إذاً في ديوان «الينبوع» ولنبحث عن شخصية أبي شادى، وعن مدى ظهورها أو تلاشيها. ولقد قرأت هذا الديوان فما كانت شخصية ناظمه تنأى عني أو تنمحي من أمامي قد يفقد الشاعر في أثناء حلمه الجميل ذاته ولكنه لن يغيب عن قارئه إذا استطاع أن يمزج روحه بآثاره.

فأبو شادى الذي أعرفه في حياة الناس شعلة فانية يريد أن يجمع العالم في يده فيحيله قطعة فنية في أقصر وقت كما تحيل

النظرة الفاتنة دنيا العاشق لحظة قصيرة العمر مسرعة الخطى يتعجل اقتناص ما وراءها، هو نفسه أبو شادى الذي عرفته في حياة الشعر شعلة فانية يشقيها التسامى ويفنيها الكد.

فلأبي شادى شخصية واحدة تظهر دائماً وإن تنوعت ثيابها وتشكلت، فهو محب للحياة متصوف في حبه عالمي الروح، يريد الحياة خالصة سامية، يريد لها قطعة فنية، فهو يحاول تهذيبها، أو هو يحاول تلوينها بألوان من السعادة تختلف فتبدو للناس عجيباً، ومجتمع عنده في قرارة نفسه، فلا يراها إلا وحدة متماسكة الأطراف متساوقة لا تناقض فيها، ويراه طريقاً إلى غايته وسبيلاً إلى أداء فكرته، وإليه يشعر بحيرته بين كل هذا، ولكنها حيرة الشاعر أمام ربط معاني قصيدته حتى يلم بها فاذا هي آية تؤلف بين أبياتها وحدة تامة فيقول:

عبيت من قلبي فيما وجدت له وفي المعاني لكوني أولأحلامي
أسائل النهر عنها وهو مضطرب
مثلي، وأصحب كالمهوت أعوامي
وأنتحي عن وجودي شبه منعدم

في الصمت، والصمت آمالي وآلامي
في حيرة وكأني عالمٌ يئست منه الحياة فعافت روحه الدامي
أبكي وأضحك في نفسي فان بها من التناقض إيساري وإعدامي
ما بين ضدين قد عاشت وليس لها من شاغل غير معنى عيشها السامي
تصدّرت لهموم الناس تسعدهم وعوقبت بين أحباب وأخصام
ولقد ظلت غايته، وهي نشدان المثل الأعلى، تتبعه كظله حتى
أكسبته هذه الشخصية: شخصية الصوفي العالمي؛ فهو أمام
الجمال المغربي صوفي يحوّل الشهوة الصاخبة في أعماق جسده فناً
يملاً روحه ويغمرها، ولا يرى في ذلك الجمال إلا روح الوجود
وروح الفن كما في قصيدته «العيون المتكلمة»

ولقد جاهر الكثيرون ممن نقدوا أبا شادى بأن في قصيدته
«الينبوع» التي يقول فيها:

أيها الينبوع كم ساع إليك يدعى بغضاً كما أهوى لديك
كل ما يرجوه موقوف عليك فاذا الانعام منك وإليك!

وعشت في وحدتي الموفور في شرفي

أبكي وأضحك والاحداث تلتطم

ولقد جمع ديوان «الينبوع» صوراً شتى لصوفية أبي شادي

الغالبه عليه منها هذه الأبيات من قصيدة «غليون الشاعر»

أشعل الغليون من نا رى وحيداً في الظلام

ناظراً نحو سماء في ضرام كضرامي

خبأتها غير لمع في نجوم كابتسامي

حرقه الدنيا أطلت من ثقبوب في الغمام

كل ما فيها جميل هو قلب في اضطرام

وكان الخالق الفن ان يشقى بالتسامي

وهذه الأبيات من قصيدة «وداع الشاطيء في الاسكندرية»

هي لوعة الفنان العازف بين الصخور الصماء :

إيه يا قلب تأمل هذه دنيا الصراع

يبدع الفنان لكن هو كالتور المشاع

خاسر مهما تفاني في رفاة وابتداع

وفي قصيدته «عيش الألوهة» صفحة ٦٣ نزوع قوى الى

التغلغل في أعماق كل ألوان الجمال ، ليعيش في لبه وصميمه عيشة

الألوهة ، بعيداً عن أذى الحياة في حلم من أحلام الجنة . ولقد

تلعب ريشته وترقص ، فترسم لنا أخيلة لتلك السعادة التي يحكم

بها في هدوئه وتصوفه

فأبو شادي ذلك الانسان الدائم الحركة ، الموزع الجهود ،

المختلف الصور ، المتناقض السبل ، رجل يحمل في طياته شخصية

واحدة تظهر في شعره دائماً أتم الظهور ، وفي قصيدته « بعد

الكفاح » التي يتكلم فيها عن القطن المكس بعد جنيه ،

فيعطينا منه فكرة ، هي تلك الفكرة التي تشغل باله ، والتي

تشرق وتغرب فيها شخصيته ، فيقول :

هذي بقايا القطن ترقد في الثرى كجنود حرب بعد طول كفاح

صرعى مجندلة ، ولكن بعدما ضخت بأجمل نورها الوضاح

حتى النبات يرى الضحية واجباً ومنى فليس يرضن بالأرواح

هذه الشخصية التي تجلت لي في مطالعة «الينبوع»

شخصية أبي شادي التي تلبس شعره هي بنفسها التي طالعتني

وتجلت لي يوم قرأت دواوينه السابقة ، وهي هي بنفسها التي يعيش

بها بين الناس ، فليس من الحق أن ننكر على شعرائنا ثبات

شخصياتهم في شعرهم إلا اذا دققنا واندمجنا في روح الشاعر ما

ممن لامل الصبر في

أنت سحر غامض للعالم أنت ينبوع الرجاء الدائم

أنت موسيقى الخلود الباسم أنت ومض للشريد الهائم !

أيها الينبوع يارمض الأبد ياشعاع الله في طيف الجسد

كم معان فيك كادت لا تحدد وعزاء عن حياة تفتقد !

دعوة صريحة إلى الشهوة ، وأن ليس فيها نظرة صوفية ،

ذلك أن فيها تقديساً للجسد ، وتقديس الجسد ليس من معاني

الصوفية عندهم . فهل يرى هؤلاء أن الشهوة حقيرة للدرجة التي

لا تسمح للشاعر بأن يتناولها في فنه مع أنها الدافع الأول الى

خلق مواهب الفنانين ، وليست العبقريات إلا شهوة مجمعت في

عدسة عين صوفية فتطهرت واستحالت سمواً . ومن منا ينكر

أن هناك مثالين عبدوا تماثيلهم وفتنوا بها بعد أن كانت فتنهم

وفقاً على المثال ، وهل عيب عليهم تصويرهم جسد امرأة عارية

يحمل معنى من معاني القداسة يراها المثال ويراها كل من مسته

يد الفن وإن خفيت على بعض الناس .

إن الفنان عند ما يتكلم عن الأجساد أو يصفها لا تكون لديه

إلا فكرة واحدة هي تقديس الجمال ، وهذا هو ما عناه الدكتور

أبو شادي في قصائده عن الجمال والحب ، وما عبر عنه بقوله :

عبي هو الفن الجميل ، وروحه روح السموي وإن يعد ضلالاً

يعيش أبو شادي في بيئة ظالمة جاحدة ، تحيط به خصومات

وأحقاد وأعداء مناوئون ، وقصيدته « المهزلة » التي صور فيها

هذه البيئة تصويراً بديعاً سكب فيه من شعوره ما يتدفق حاراً ،

من أقوى الشعر الاجتماعي العاطفي . وفيها يقول :

ويلي من الدهر ! يبكييني ويبتسم ولا يرد عوادي جوره السقم

قد عد شر ذنوبي ما يفيض به قلبي الى الناس من حب ويزدحم

ويلي من الدهر ! ويلي ! من أقر له هذا العتو ؟ وهل في الحب متهم

أطل دمي وماء العين مضطرم

وهاج وجدى وسخط القلب محتدم

أنا الذي في شكاتي زار الشم وفي بكائي وناري يهزم الألم

سخرت من بيتي لما برمت بها ونحت لكن نواحي كله كرم

لست الذي إن تغالي في محبته فساء الدهر عمراً ناله الندم

وهو إذ يصور لنا البيئة المصرية - وكم له من صور عنها ! منها

الحزينة الهادئة والصارخة المتهبة والتهكمة اللاذعة ! - وينغمس

في مناقشات ومجادلات لا يفقد شخصيته البارزة ، تلك الشخصية

الصوفية الزاهدة فيقول :